الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف . المسيلة .
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ

الحضور السياسي للمرأة في مصر والشام، العهد الأيوبي (أنموذجا)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
طيايبة بشير

إشراف الأستاذ المحترم:
محمودي محمد الصديق

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ. لكحل مراد	أستاذ مساعد. ب	رئيسا
أ. محمودي محمد الصديق	أستاذ مساعد. أ	مشرفا
أ. البوص جمال	أستاذ مساعد. ب	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 . 1437هـ / 2015 . 2016م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــــــــداء

إلى ذلك الصدر الشافي، والرضا الوافي، والحب الصافي، والحنان الدافئ إلى صاحبة الفضل، إلى أغلى إنسانة في الوجود، إلى معنى العطاء التي تبكي لبكائي وتفرح لفرحي، إلى التي منحتني الحنان والطمأنينة، وساندتني طوال مشواري الدراسي.

إلى أمي الحنونة الزهرة أطال الله في عمرها وحفظها لي.

إلى من تجرع مرارة الشقاء، إلى من شق الظلمات لأجلي، إلى من طبع روح الوفاء، وغرس في قلبي صدق الإخاء، إلى من علمني الكفاح في سبيل البقاء وفتح الطريق أمامي للنجاح، أهدي عملي المتواضع

إلى أبي الغالي لحسن أطال الله في عمره وحفظه لي.

إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها، إلى إخوتي الأعزاء وأختي الغالية

(فريد، مروان، مراد، حاتم، نبيل، نورة),

إلى كل من يسعهم قلبي***ولم يسعهم قلمي

طيايبة بشير

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.
أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لي يد المساعدة لإتمام هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ المشرف والقدير محمودي محمد الصديق على رعايته الطيبة وعلى جهده القيم في توجيه ونصح وفتح بساط الحرية في العمل أمامي.
كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ القدير لكحل مراد لعنايته المطلقة ودعمه المعنوي الدائم لي خلال فترة عملي.
وأشكر كذلك الصديق خضور عبد الرزاق، مرازقية ياسين اللذان وجدتهما خير سند لي في عملي.
كما أوجه شكري وامتناني إلى أولئك الذين أغدقوني بحبهم وقدموا لي يد المساعدة وسهلوا لي العمل في البحث الذي أنا بصدد إنجازه

طيايبة بشير

المقدمة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ وبعد:

إن تاريخنا الإسلامي العريق والمجيد احتضن عدة دول قوية لَمَع بريقها وذاع صيتها من خلال ما حملته من إنجازات سياسية وحضارية، ولعل إحدى هذه الدول هي الدولة الأيوبية التي اعتبرت من أهم الدول التي قامت في التاريخ الإسلامي، فقد شكل قيامها مرحلة من أهم مراحل التاريخ الإسلامي حيث حمل أمراؤها مسؤولية عظيمة.

ومع العلم أنها قامة في فترة عصيبة بعدها واجهت الصليبين فهي دولة حملت راية الجهاد منذ بداية ظهورها و إلى غاية زوالها، والتي أعادت حكم الشعوب الإسلامية تحت الحكم الراشد ورعاية مصالح المسلمين وأهدافهم، وملأ الفراغ الذي تركته الدولة السابقة وهذا الدور و الإنجازات العظيمة لم تقتصر على الرجال فقط، بل شاركت فيها حتى النساء خصوصا بما يتعلق بالحكم فحكمهن لا يختلف عن حكم الرجال في التأثير أو التدبير.

ولقد تعددت الأدوار التي لعبها الأميرات الأيوبيات خصوصا السياسية منها والعلمية ولما تركوه من آثار عديدة، لهذا ارتأينا أن نبحث في موضوع دور نساء البلاط الأيوبي في هذه الدولة مسلطين الضوء على آثارهن السياسية والعلمية، وبهذا استطعن من خلال هذه الأدوار أن يسجلن أسمائهن في التاريخ الإسلامي وبقي ذكرهن إلى يومنا هذا.

الإشكالية :

* ما هو الدور السياسي الذي لعبته المرأة في مصر والشام عهد الدولة الأيوبية وماهي أهم أثارة على الدولة الأيوبية في مصر والشام؟

وتندرج تحتها إشكاليات ثانوية:

*من هو مؤسس الدولة الأيوبية؟

*ما هي أهم الخطوات التي اتخذها في سبيل تأسيس دولته؟

*فيما تمثلت أهم إنجازات الدولة الأيوبية؟

* ما هي المكانة التي حظيت بها النساء في الدولة الأيوبية؟ وما هي أهم الخطوات التي اتخذنها من خلال هذه المكانة للوصول إلى العرش الأيوبي؟

*كيف كانت سياسة المرأة في الدولة الأيوبية؟ وما موقف الدولة الأيوبية والرعية منها؟

* فيما تمثلت أهم الإنجازات التي قامت بها المرأة في الدولة الأيوبية؟

أسباب اختيار الموضوع:

1/ الأسباب الذاتية

*الموضوع الذي أشتغل عليه كان من اختيار الأستاذ القدير مراد لكحل

*أيضا رغبتي في دراسة المواضيع ذات الصبغة المشرقية، وقد كان ها العنوان مناسبا لأن أشتغل وأبحث فيه

الأسباب الموضوعية

*يعتبر موضوع الدولة الأيوبية ودور النساء فيها ذا قيمة علمية تحتاج منا الدراسة الدقيقة كما أنه ضمن حلقة التخصص الذي أدرس فيه.

*يمثل هذا الموضوع حقبة تاريخية معينة وقصيرة، مما يوفر لدي قدرة على دراسة هذا الموضوع بوضوح وتفصيل ودقة.

أهداف الدراسة:

*التعمق في دراسة هذه الدولة والغوص في المجتمع الأيوبي خصوصا فيما يتعلق بالملكات الأيوبيات وتحديد العلاقة التي ربطتهن بالعرش الأيوبي أو مكنتهن من إدارة السلطنة ومباشرة القرارات السياسية.

*التوصل إلى قيمة الإطلاع الواسع والشامل حول المنجزات التي خلفتها هذه الدولة سياسيا وعلميا خصوصا منجزات النساء بشكل خاص وأدق.

المنهج المتبع في الموضوع:

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الوصفي، وذلك بعد أن قمت بدراسة نشوء الدولة الأيوبية محللا أسباب هذا النشوء وكذلك دراسة الدور الذي قامت به الملكات الأيوبيات، محللا هذا الدور من خلال معرفة أهم القرارات التي كان يصدرها الملكات الأيوبيات، وأيضا التوصل إلى العلاقة السياسية

الموجودة بين الملكات والأمراء، وأثر السياسة التي مارسنها على الدولة من جانب والرعية من جانب آخر، ثم تطرقت إلى وصف المدن والبلدان وأهم الانجزات التي قام بها النساء الأيوبيات في مصر والشام، مثل المدارس من حيث البناء وغيره.

خطة البحث :

ولدراسة هذا الموضوع بعناية وتفصيل قمت بوضع خطة تتماشى مع طبيعة الموضوع، وحجمه المعرفي تتكون من ثلاثة فصول الفصل الأول كان بعنوان: ظهور صلاح الدين الأيوبي و قيام الدولة الأيوبية ويتضمن هذا الفصل ثلاثة عناصر: العنصر الأول بعنوان ترجمة شخصية صلاح الدين الأيوبي، والعنصر الثاني بعنوان قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، والعنصر الثالث بعنوان أهم المحطات التاريخية في الدولة الأيوبية.

أما عن الفصل الثاني كان بعنوان المرأة والحياة السياسية في مصر والشام عهد الدولة الأيوبية، واعتمدت فيه على عنصرين العنصر الأول بعنوان المرأة والحياة السياسية في مصر، والعنصر الثاني بعنوان المرأة والحياة السياسية في الشام.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان أثر سياسة المرأة على الدولة الأيوبية في مصر والشام، وفيه عنصران العنصر الأول أثر سياسة شجر الدر في مصر، والعنصر الثاني بعنوان أثر سياسة ضيفة خاتون في الشام (حلب).

المصادر والمراجع :

اعتمدت على عدة مصادر ذات أهمية كبيرة في خدمة الموضوع الذي نحن بصدد دراسته، كما أنها كانت ذات صلة بموضوع الدراسة ومن بين هذه المصادر بهاء الدين ابن شداد(632هـ/1234م)؛ وكتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، وقد اعتمدت عليه في ترجمة صلاح الدين وسيرته الذاتية، وأيضا أحمد بن القلقشندى(821هـ/1418م)؛ وكتابه صبح الأعشى الذي اعتمدت عليه في إيراد بيان السجل الذي يحوي جملة من الخطاب المورود فيه تقضية صلاح الدين الوزارة.

كما اعتمدت على أبو شامة (656هـ/1267م)؛ وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وقد إعتمدت في تحديد وصف لباس الوزرة الذي لبسه الملك الناصر يوم توليه الوزارة وأيضا اعتمدت عليه في بيان المكانة التي كان يحضى بها صلاح الدين في

البلاد العبيدي، واغتنامها ودوره في التصدي للحملة الصليبية الموجهة إلى دمياط وكل ذلك من أجل قيام دولته، و ابن الأثير(630هـ/1232م)؛ وكتابه التاريخ الباهر في الدولة الأتابكة، وذلك لمعرفة دور نور الدين في التصدي للحملة إلى جانب صلاح الدين ونجاحهما في إفشالها وتخليص مدينة دمياط من الوجود الصليبي، وأيضا إعتمدت عليه في معرفة قيام خطبة المستضئ، وقطع خطبة العاضد وزوال الخلافة العبدية، ودور صلاح الدين في نجاح قيام دولته والسيطرة على مصر.

كما اعتمدت على المقريزي (845هـ/1442م)؛ وكتابه السلوك لمعرفة دول الملوك الذي اعتمدت عليه في قيام صلاح الدين بتغيير دولة الشام بإزالة مكان في عهد نور الدين بعد قيام دولته فيها.

كما اعتمدت عليه في ترجمة شخصية الملكة شجرة الدر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي(911هـ/1505م)؛ وكتابه حسن المحاضرة في التعرف على أحوال مصر بعد مقتل الملك تورانشاه وخف أهلها من الطامعين في حكم مصر.

وابن خلدون وكتابه تاريخ ابن خلدون(808هـ/1406م)؛ وقد اعتمدت عليه في معرفة كيف تم وصول شجر الدر إلى الحكم في مصر ودور أمراء المماليمك في تنصيبها أيضا، كما اعتمدت على كمال الدين أبو القاسم ابن العديم(660هـ/1262م)؛ وكتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب، وقد أفادني كثيرا خصوصا بما يتعلق بمعرفة ضيفة خاتون وأحوال مملكتها في حلب، ودورها السياسي في الحفاظ على هذه المدينة وإدارة أمورها.

الصعوبات :

بالنسبة للصعوبات واجهت صعوبتين، أولهما ضيق الوقت وبالتالي الأسرع في العمل مما قد يجعلنا نغفل على بعض الأمور الضرورية، أو عدم الإطلاع على بعض الكتب قد تكون لها صلة وطيدة بالموضوع، أما عن الصعوبة الثانية فتكمن في انه رغم وفرة المصادر إلا انه يصعب فرز المعلومات منها، والمتعلقة بموضوع الدراسة الذي أشتغل عليه نظرا لإهماله في العديد من الجوانب.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى أستاذي المحترم والقدير محمودي محمد الصديق الذي سهر علي في إدارة بحثي، كما وقف على كل خطأ صغير أو كبير في موضوعي موجها إياي إلى استدراك هذه الأخطاء وتصحيحها بما يخدم الموضوع.

وكذلك الأستاذ مراد لكحل الذي ساعدني في موضوعي الذي نحن بصدد إنجازه من خلال توجيهي إلى المصادر الأساسية المتعلقة به وغناها بالمادة العلمية التي تخصه، والأستاذ المحترم والقدير.

تمهيـــد

إن متتبع تاريخ الدولة الأيوبية يجد أن لقيام هذه الدولة جذور متعلقة بالصراع التي كانت تعانيه الدولة العربية الإسلامية خصوصا مع نهاية القرن(5هـ/11م)، فقد كانت البلاد الإسلامية تعاني خطرا مزدوجا خطر داخلي وخطر خارجي، أما الخطر الداخلي فمتمثل في تردي الأحوال السياسية داخل الدولة بسبب الفتن والنزعات الداخلية حول السلطة بين أبناء الدولة السلاجقة، لأن الدولة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية كانت تحت سلطة الأمراء الأتراك (دولة السلاجقة) التي حكمت مابين(429هـ-522هـ / 1038م-1128م)، والتي سرعان ما بدأ الضعف يصيبها حيث بدأت تتفكك من جراء هذه النزعات[1].

هذا فضلا على الصراع المذهبي الذي أصاب على وجه الخصوص مصر وخطر خارجي تمثل في الحملات الصليبية (5هـ/11م) التي داهمت المسلمين مستغلة هذا الضعف وسوء الأحوال السياسية وتردي الأوضاع الداخلية للبلاد، وخصوصا الأوضاع التي كانت سارية في مصر بسبب المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك على مناصب الوزراء أيام كانت مصر تحت سلطة الخلافة العبيدية (361-567هـ/972م-1171م).

وقد كان الخلفاء العبيديون يديرون السلطة رغم صغر سنهم ولهذا سنحت الفرصة لهؤلاء الوزارء الذين كان يرجع إليهم غالب التدبير وإدارة أمور السلطة ولعل هذا ما مكن الصليبيون من النجاح في الاستيلاء على سواحل الشام والسيطرة عليها[2]، ثم بدأ التغير يدب في البلاد العربية الإسلامية نحو الأفضل وذلك بظهور الزنكيين الذين لعبوا دورا بارزا وفعالا متمثلا في توحيد الجبهة الإسلامية من جهة وإعلان الجهاد ضد الوجود الصليبي من جهة أخرى.

---

[1]- أيبك الدواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر**، حققه: صالح المنجد، القاهرة، 1961، ج6، ص 335.

[2]- علي محمد الصلابي، **صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص 17 وما بعدها

ولعل أبرز شخصية في الأسرة الزنكية، وهو عماد الدين زنكي الذي بدأ حكمه في هذه الفترة(516هـ/1122م-541هـ/1146م)[1] الذي كان مهتما بالأيوبيين نظرا لشجاعتهم وأولهم نجم الدين أيوب والد صلاح الدين.

فقد أعطى له عدة أراضي وقد توالى اهتمام الزنكيين بالأيوبيين الذين رأو فيهم القدم التي تقودهم إلى تحقيق مسعاهم حيث تولى صلاح الدين منصب الوزارة في مصر (564هـ/ 1169م).

وقد كان صلاح الدين ذا شخصية قوية وقائد سياسي محنك يهدف إلى توحيد الجبهة الإسلامية للوقوف ضد الخطر الصليبي، وكذلك لتخليص البلاد من الفتن التي توشك القضاء عليها، وكان يخطط لإقامة دولة قوية يشرف على تولي أمورها والحديث عن الدولة الأيوبية فبتوليه الوزارة العبيدية في مصر التي سرعان ما بدأت تضعف، وقد انتهز صلاح الدين هذه الفرصة وقد ترجم انتهازه إلى خطوات ثابتة ودقيقة هدفها القضاء على الخلافة العبيدية وإزالتها من الوجود خصوصا الجانب السياسي والديني فيها.

فعمل صلاح الدين على استغلال هذا المنصب أحسن استغلال فقام باستمالة قلوب المصريين إليه من خلال العطايا والهبات التي كان ينفقها عليهم، ومن جهة أخري كان يحطم الخلافة العبيدية من شتى جوانبها، ولعل سياسية صلاح الدين كانت ناجحة وأثمرت عن قيام دولة قوية هي الدولة الأيوبية(567 هـ/ 1172م) التي حملت لواء الجهاد ضد الصلبيين، كما قامت هذه الدولة بالعديد من الإنجازات في شتى المجالات ولعل أشهرها موقعة حطين (573هـ/1187م) وتخليص بيت المقدس من أيدي الصلبيين[2].

ولعل دراستنا لهذه الدولة لم توقفنا عند ما قام به أمرائها فقط فلقد عرفت هذه الدولة نساء قويات، والذي هو محور دراستنا فبحكم مكانتهن في الدولة الأيوبية لعبن دورا سياسيا بارزا في السلطة الأيوبية في مصر والشام، فقد مكنتهن المكانة التي كانوا يحظون بها من المشاركة السياسية الفعالة من حيث إصدار الأوامر والتدخل في القرارات السياسية بشكل

---

[1]- أيبك الدواداري: **المصدر السابق**، ج6، ص 491 وما بعدها.

[2]- علي محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص 191، 192- 229- 537.

مباشر، فضلا عن مشاركتهن العلمية خصوصا الملكة شجر الدر في مصر[1]، والملكة ضيفة خاتون في الشام [2]، وذلك ما سنوضحه لاحقا إن شاء الله.

[1]– يحي الجبوري: **النساء الحاكمات من الجواري والملكات**، ط1، دار مجد لاوي، عمان، 2010–2011م، ص 119.

[2]– ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**،حققه:سهيل زكار، ج4، ص 1952، 1953.

الفصل الأول

تعد الدولة الأيوبية من أعظم الدول التي قامت في التاريخ وكان قيامها في مصر وقد توسعت في بلاد الشام كله والجزيرة العربية قامت على أنقاض الدولة العبيدية التي كانت مركزها في مصر ويرجع سبب سقوطها إلى صلاح الدين الأيوبي والذي يعود إليه الفضل في تأسيس دولته الأيوبية بعدما تخلص من الخلافة العبيدية وأزالها نهائيا وهذا يدفعنا إلى دراسة شخصية صلاح الدين الأيوبي، فمن يكون صلاح الدين الأيوبي؟ ما هي أهم الأعمال التي قام بها لتأسيس دولته وأهم إنجازات هذه الدولة؟

أولا : ترجمة شخصية صلاح الدين الأيوبي

1/تعريفه ومولده ونشأته:

هو الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الكردي، موطنهم من أذربيجان من بلاد الكرج و أصلهم[1] أكراد[2] وقد ولد سنة (532هـ/1132م) بقلعة[3] تكريت[4] وهي القلعة التي كان والده واليا بها، ثم قرر الانتقال منها إلى الموصل[5]، وانتقل والده معه، فأقام بها الى أن ترعرع، ومع العلم أن والده وأخوه أسد الدين شيركوه[6] كانا

---

[1]– ابن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، مطابع الشعب، 1960، ج1، ص 55.

[2]– الكرد: خلائق لا تحصى وأمم لا تحصر ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصدهم ولا يجعلهم يفيضون على البلاد، إذ رموا دائما بشقاق الرأي وتفرق الكلمة انظر: ماجد: **صلاح الدين الأيوبي**، ص 43، والعمري: **المصطلح الشريف**، ص58.

[3]– ابن كثير: **البداية والنهاية**، حققه: عبد الله بن محسن التركي، ط1، دار هجرة للنشر والتوزيع، 1998، ج16، ص315، 316 .

[4]– تكريت: راكبة على دجلة من غربيه، أول من بناها ابن أردشير بن بابك لما نزل المد وهو بلد قديم مقابل تكريت في البرية، أنظر: الحموي: معجم البلدان، ج2، ص38.

[5]- الموصل: مدينة مشهورة تعد من أهم قواعد الإسلام تتميز برقعة واسعة كما أنها تعد محط رحال الركبان ومنها يتجهون إلى جميع البلدان وقد سميت الموصل لأنها وصلت بين المناطق ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج5، ص223.

[6]– أسد الدين شيركوه: هو الملك المنصور فاتح الديار المصرية ابن شاذي أخو الأمير نجم الدين أيوب طرد الافرنج من مصر توفى بسبب الخوانيق سنة 564هـ/1169م. انظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، حققه: شعيب الأرنؤوط و نعيم العرقسوسي، ج20، ص587-589.

يحظيان بمكانة عالية ومرموقة داخل الدولة الزنكية، حيث كانا محترمين مقدمين[1] في خدمة نور الدين زنكي[2].

2/ تعلمه و أخلاقه و سيرته:

قضى صلاح الدين حياته وطفولته في دمشق[3] وقد كانت أفضل أيامه حيث أظهرت شخصيته ومكانته بين الناس حيث كان محل تقدير واحترام وهذا بفعل تربيته على يد والده وعائلته التي ربته على الإسلام.

تعلمه وحرصه:

كانت عقيدته مبنية على عقيدة العلماء وكان شديد الحرص عليها حتى أنه كان يعلمها للصبية حتى تترسخ في أذهانهم، وأما الصلاة فكان شديد المواظبة عليها يؤديها جماعة، وأما عن الزكاة فكان كثير الصدقة لم يخلف ولا ورث سواء بيت أو بساتين أو أموال، أما عن الصوم فإنه كان عليه فوائت في الصوم وقد قضاها وهذا بسبب مرضه حتى أنه يقضيها وهو غير قادر لذلك فهو كان مهتما ببراءة ذمته، أما عن الحج فقد كان عازما عليه خصوصا في العام الذي توفي فيه وقد عزم الرحيل إلا أن أجله سبقه فقضى الله ما قضى وكان يحب سماع القرآن العظيم.

أخلاقه وجهاده:

كان يجلس للعدل كل اثنين وخميس بحضور العلماء والقضاة والفقهاء ويسمع قضايا الناس باختلاف أعمارهم، أما عن كرمه فكان له كرم نادر سمع به القريب والبعيد وكانوا لا يفارقون بيته بحيث يعطي أكثر ممن يعطى ولا يصد أحدا، وكان من العظماء الشجعان قوي النفس وكان يهاجم حصون الفرنجة، وأما عن جهاده ومواظبته عليه، فقد كان مهتما جدا بالجهاد ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله وطنه أهله وأولاده وقنع بخيمة يبيت فيها

---

[1]– ابن شداد: **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين**، حققه: جمال الدين الشيال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994، ص31 .

[2]– نور الدين محمود زنكي: هو نور الدين صاحب الشام الملك العادل ابن عماد الدين زنكي قسيم الدولة ولد في 510هـ/1116م تولى حكم حلب والموصل افتتح حصونا كثيرة وبنى عدة مدارس بحلب ودمشق كما بنا دارا للعدل وكان بطلا شجعا مقبلا على الجهاد (ت 569هـ/1173م)، انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج20، ص531، 532 –534 .

[3]– دمشق: بكسر أوله وفتح ثانيه، سميت دمشق لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا تقع في الإقليم الثالث وكانت موضعا للأنبياء عليهم السلام وقد وصف جامعها بجامع المحاسن. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص463–465.

حتى أنه في ليلة عاصفة كادت أن تقتله بعد أن وقعت عليه، وأما عن مروءته فلم يسمع لها مثيل.

ولعل الدليل ما جرى بينه وبين البرنس حاكم أنطاكية[1] الذي أعطى له العمق[2] وهي بلاد على الساحل كان قد أخذها منه سنة (584هـ/1188م) بعد وقوع الصلح سنة (588هـ/ 1192م)[3].

سيرته :

تولى صلاح الدين عدة مناصب مهمة وقام بعدة أعمال عظيمة أهمها

مناصبه :

تولى الوزارة لدى الخليفة العبيدي العاضد[4]، وذلك في سنة(564هـ/1169م)، وهو في الثاني والثلاثين من عمره حيث تولاها بعد وفاة أسد الدين رغم صغر سنه[5]، تولى رئاسة شرطة دمشق في سنة(570هـ/1174م) في عهد نور الدين محمود وقد قام بهذا المنصب أحسن قيام واستطاع أن يطهر دمشق من اللصوص ومن شرور المفسدين[6].

---

[1]– أنطاكية : بلد عظيم له سور يتكون من ثلاثمائة وستون برج أربعة آلاف حارس في حراستها وشكله عبارة عن نصف دائرة تتصل بجبل به قلعة وهذا الجبل يحجب عنها الشمس فهي لا تشرق عليه إلا في الساعة الثانية. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص 267.

[2]– بلاد العمق : هي كورة بنوحي حلب بالشام الآن وقد كان ناحية من نواحي أنطاكية وقد ألقيت عليه عدة أشعار من أشعار المتنبي. أنظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص156.

[3]– ابن شداد: **المصر السابق**، ص33 وما بعدها.

[4]– العاضد :صاحب مصر ختم الدولة العبيدية ادعى النسب الفاطمي ولد سنة 546هـ/1151م وزر العاضد بحيث جعله وزيرا على مصر كانت وفاة العاضد سنة 567هـ/1171م، وقد اختلف عن سبب وفاته فهناك من أورد انه توفي غما بسبب قطع خطبته وهناك من أورد انه توفي بسبب مرض مفرط. أنظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج15، ص207–209–213.

[5]– ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، حققه: محمد يوسف الدقاق، ج10، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص17.

[6]– عبد الله ناصح علوان: **صلاح الدين الأيوبي**، ط12، دار السلام، مصر، 2002م، ص32.

أعماله :

قام بأعمال سياسية وأخرى علمية وقد تمثلت أعماله السياسية في انتصاره على الفرنج في دمياط[1]، وغزة والعقبة[2]، وقد قضى على المؤامرات من أبرزها مؤامرة مِؤتمن الخلافة سنة(564هـ/1169م)، ومؤامرة عمارة اليمني سنة(569هـ/1173م)، ومؤامرة كنز الدولة سنة (570هـ/1174م)، وقضى على المؤامرات الخارجية وخاصة في دمياط والإسكندرية في سنتي(564هـ / 569هـ)(1168هـ / 1173م).

أعماله العلمية :

أنشأ في مصر مدرستين النصرية والكاملية لتدريس مذهب أهل السنة والجماعة بعيدا عن التشيع لآل البيت[3]. وبعدها تولى ولاية مصر وهنا قامت الدولة الأيوبية، كما أنشأ مدرسة الحنفية عام(572هـ/1176م)، ومدرسة الصالحية، وجعلها للمذهب الشافعي، كما أنشأ مدرسة القدس بعد تخليصه سنة(583هـ/1187م)، وهذا ما سنذكره في موقعه لاحقا إنشاء الله تعالى.

3 / وفاته:

كانت وفاة السلطان الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب سببها إصابته بعد عودته إلى دمشق بحمى صفراوية وانتابه أرق شديد في الليل ولزم الفراش نحو أحد عشر يوما, فكان موته يوما[4] مشهودا لم يشهد الإسلام بمثله منذ عهد خلفاء الراشدين حتى أن الرحالة عبد اللطيف البغدادي[5] الذي عاصره وقابله في القدس بعد استردادها يكتب انه لم يرى في

---

(1)– دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل وهي ثغر من ثغور الإسلام مخصوصة بالهواء الطيب طول دمياط ثلاث وخمسون درجة ونصف وربع عرضها إحدى وثلاثون درجة وربع وسدس. أنظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص472-475.

(2)– عقبة : وهو الجبل الطويل وهي عبارة عن منزل في طريق مكة وهو ماء لبني بكر بن وائل وهي عقبة ضيقة طويلة والعقبة وراء نهر عيسى قريبة من دجلة بغداد محلة . أنظر: الحموي: المصدر السابق ج4، ص134.

(3)– عبد الله ناصح علوان: **المرجع السابق**، ص27-115، 116.

(4)– محمد فريد أبو حديد: **صلاح الدين الأيوبي وعصره**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1127، ص187.

(5)– الرحالة عبد اللطيف البغدادي: هو العلامة الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الشافعي النحوي اللغوي الطبيب الفيلسوف له تصانيف كثيرة وكان أحد البارعين في اللغة والأدب والطب توفي سنة (629هـ/1232م). انظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، حققه: خليل المنصور، ط1، ج4، ص 54 ،55.

حياته من بكى عليه الناس من المسلمين وغيرهم مثله يقول: كان ملكا عظيما يملأ العين روعة والقلوب محبة وأن أصحابه يتشبهون به ويتسابقون إلى الامتثال به، كذلك رأت الفرنجة في صلاح الدين خصالا رائعة وقد وصفوه بعدة خصال ولما قالوا فيه من أحكام وأشعار وقد وضعوه بمنزلة الأبطال وحكام العالم الكبار[1].

وكانت سنة(589هـ/ 1193م)، السنة التي توفي فيها وعمره لا يتجاوز سبع وخمسون سنة بقلعة دمشق[2] ودفن في تربة بجوار الجامع[3] .

ثانيا : قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام

1/ قيام الدولة الأيوبية في مصر :

يعتبر صلاح الدين الأيوبي المؤسس الأول للدولة الأيوبية وقد أطلق على دولته دولة الأكراد نسبة إلى أسرته الكردية.

مكانة صلاح الدين في البلاط العبيدي وحصوله على الوزارة:

بعد وفاة شيركوه آلت الوزارة إلى صلاح الدين ولقب بالملك الناصر في سنة(564هـ/ 1169م)، وقد أثير حول توليته أقوال كثيرة منها، حيث تولاها بوصية مسبقة من شيركوه أو كما تم إيراده في سجل توليته الذي خط فيه الخليفة العاضد بخط يده ورد فيه "هذا عهد لا عهد لوزير بمثله"[4]، فقد اختاره العاضد لأنه جمع بين حكمة المشيب و ومضاء الشباب وخوله السلطات التي كان خولها لعمه شيركوه فخرج سجله في قماش أبيض وألبسه العاضد بنفسه أمام جمع عظيم من موظفي الدولة في يوم مشهود، وكانت خلعة الوزارة جميعها لونها بيضاء[5]، وبتولية صلاح الدين الوزارة الفاطمية ولم يكن عمره يزيد عن 32 سنة فتحت

---

(1)– عبد المنعم ماجد: **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التاريخ السياسي**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 117.

(2) – الذهبي: **الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام**، حققه: إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت 1991، ص306.

(3) – الصدفي: **نزهة المالك والملوك في مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك**، حققه: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003، ص131.

(4)– القلقشندي: **صبح الأعشى**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1987،ج9، ص427 .

(5)– أبو شامة: **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، حققه: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج2، ص 115.

صفحة جديدة في تاريخ مستقبله الباهر، وقد أصبح في مصر أبرز فرد في أسرته لما كمن في شخصيته من صفات الحنكة و السياسية[1].

دور صلاح الدين في إفشال الحملة الصليبية على دمياط:

"بعد أن قرر عموري القيام بحملة صليبية على دمياط بعد استعان بالبزنطين من أجل احتلال الدلتا" حيث قام بإرسال حملة بحرية كبيرة إلى ثغر دمياط بعد أن أوكلوا المهم لجماعة من الرهبان والقساوسة يحرضون الناس على القتال وقد أمدوهم بالمال والسلاح، وكانت هذه الحملة في سنة(565هـ /1169م)[2]، وبعد وصول الحملة إلى دمياط بذل صلاح الدين ومعه المصريون من جند العبيديين مجهودا هائلا لتستمر المقاومة وحمايتها بعد أن أعد العدة من الرجال والفرسان وتقديم العطايا والهبات، حيث أنه كان وزيرا لا يرد له طلب[3]، ووصول نور الدين الذي ما لبث أن لبى دعوة العاضد بإرساله الإمدادات من العساكر واحدة تلو الأخرى مما قوى جهة صلاح الدين حيث دخل بلاد الفرنجة و قام بالإغارة عليها واستباحها وتخريبها وما كان على الفرنج إزاء ما قام به نور الدين وعساكره إلا الانسحاب ورجعوا خائبين، وقد وصفت هذه الحملة بالنعامة ذهبت تطلب قرنين رجعت بلا أذنين بعدما كانت مدتهم على دمياط خمسين يوما [4].

سقوط الخلافة العبيدية علي يد صلاح الدين الأيوبي وقيام دولته :

بعد الانتصار الذي حققه صلاح الدين الأيوبي رغب في توحيد جبهة المسلمين في المنطقة العربية فقرر القضاء على الخلافة العبيدية فاتخذ التدابير اللازمة لبلوغ هذا الهدف، فعمل على محاربة الدعوة العبيدية فعزل قضاة مصر الشيعة وولى بدلهم قضاة على المذهب الشافعي، وقام بتشريد دعاة المذهب الشيعي وإلغاء مجالسهم وجعل هدفه عودة المصريين إلى المذهب السني، فأخذ في بناء المدارس لتدريسه في جميع أنحاء مصر، وقام بتبديد

---

[1]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 82.

[2] – أبو شامة: **المصدر السابق**، ج2، ص 139.

[3]– ابن شداد: **المصدر السابق**، ص84.

[4]– ابن الأثير: **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكة**، حققه: عبد القادر أحمد طليمات، ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963، ج1، ص 144.

الكتب العبيدية ورميها وأحرق المكتبة العبيدية وكانت أربعين حجرة[1] ، ثم عمل صلاح الدين على إضعاف قوة نفوذ حاشية القصر ثم قضى على قوة الخلافة العبيدية الحربية بعد أن قام بإعلان مرض العاضد وعزم على قطع خطبته بعد استشارة أمرائه بعرض الخطبة العباسية ونجح في مسعاه أن قام ودعي للمستضئ[2] بعد أن وجد منهم القبول، وقطعت خطبة العاضد بأمره وأقيمت خطبة المستضئ[3]، وبوفاة العاضد يوم الاثنين العاشر من المحرم سنة(567 هـ/ 1172م) استقر الملك للسلطان[4] ولكن منالله من سؤدد مصر أغضب نور الدين الذي بدأ يكشر عن أنيابه فقام بإرسال أيوبا وأخاه الأكبر بقصد إيجاد منافسين له في مصر[5].

خاصة حينما أرسل نور الدين طلبا إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلد الفرنج، وقد أرسل صلاح الدين في البداية كتاب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر مما جعل نور الدين يجمع عساكره ورحل من دمشق قاصدا الكرك[6]، ولما وصل أخذ ينتظر صلاح الدين فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول إليه بسبب اختلال البلاد رغم أن السبب هو تخوفه من الاجتماع مع نور الدين بعد أن حذره أصحابه وخواصه من الاجتماع به، وجراء ذلك عزم نور الدين على دخول الديار المصرية وأخذها من صلاح الدين وقرر ابن أخ صلاح الدين تقي الدين عمر[7] بأن يقتلوه إذا دخل الديار المصرية لكن

---

(1)– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص83، 84، 85، 86.

(2)– المستضي بأمر الله: الحسن أبوا محمد بن المستنجد بالله ولد سنة 536هـ/1141م، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وخطب له على منابر بغداد وفي خلافته انقضت دولة بني عبيد وخطب له بمصر، توفي سنة 575هـ/1179م. انظر: السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ط1، ص 350،349-352.

(3)– ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج10، ص 156.

(4) – ابن شداد: **المصدر السابق**، ص 86.

(5)– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 88.

(6)– الكرك: هو عبارة قلعة حصينة في طرف الشام وهي بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي تقع قرب بعلبك وبها قبر يزعم أهلها أنه قبر نوح عليه السلام أنظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص453.

(7)– تقي الدين عمر: هو الملك المظفر أبوا سعيد عمروا بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة وهو ابن أخ السلطان صلاح الدين كان شجاعا مقداما ناب عن عمه صلاح الدين بالديار المصرية، بني عدة مدارس منها مدرسة شافعية ومالكية ومدرسة بالرها، توفي سنة (587هـ/ 1191م)، ودفن بحماة. انظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: إحسان عباس، ج3، ص456، 457.

أباه منعهم من فعل ذلك وشتمهم عليه وأمر ابنه بأن يقبل ويسلم الديار المصرية إلى نور الدين لما فيه من الخير وتجنبا لردود فعل نور الدين، فلما رأى نور الدين الأمر ونفذ صلاح الدين عدل عن قصده وتراجع عنه[1]، وكانت وفاة نور الدين التي الأربعاء حادي عشر شوال سنة (569هـ/1174م) في قلعة دمشق وقد كان سببها خوانيق اعترته عجز الأطباء عن علاجها [2]، وبذلك تأكدت سيطرة صلاح الدين على مصر[3].

2/ قيام الدولة الأيوبية في الشام :

بعد موت نور الدين سنة(569هـ/1174م) تأكدت سيطرة صلاح الدين الأيوبي على مصر إلا أنه فكر في السيطرة على البيت الزنكي في الشام وبلاد الجزيرة أي على بلاد نور الدين لأن صلاح الدين كان يستهدف تكوين جبهة إسلامية قوية في المنطقة العربية وخصوصا بعد أن تولى مملكة نور الدين ابنه الملك الصالح إسماعيل[4] في سن مبكرة فهو ما يزال طفلا [5]، فقد رأى في البداية أن ولد نور الدين يتولاه بعده إخوته مجد الدين فلما حدث ما حدث أنكره وقال :أنا أحق برعي العهود والسعي المحمود، وقد أعتبر في ولاية هؤلاء تفرق للكلمة وانفصال بين مصر والشام [6] وبعد علم صلاح الدين بالمصالحة التي قرر أن يقوم بها الملك الصالح إسماعيل مع سيف الدين غازي، بعد أن اتجه إلى حلب[7] قاصدا الموصل وقد أحدث هذا اهتماما لدى صلاح الدين، الذي أستخلف على الديار

---

[1]– ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج10، ص 159.

[2]– ابن شداد: **المصدر السابق**، ص 8 .

[3]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 89.

[4]– الملك صالح إسماعيل: أبو الفتح إسماعيل بن السلطان نور الدين محمود ختنه أبوه وعمل وقتا باهرا رحب به أهل دمشق تولى السلطة بعد موت والده الذي أوصى له بها قاتل من أجل حلب قتالا شديدا خصوصا ضد صلاح الدين الأيوبي توفي سنة (577هـ/1181م). انظر: ابن عماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، حققه: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، ج 6، ص 425.

[5]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 89.

[6]– أبو شامة: **المصدر السابق**، ص 333.

[7]– حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات وقد سميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه ويتصدق به إلى الفقراء أما عن المسافات فإلى قنسرين يوم وإلى المعرة يومان وإلى أنطاكية ثلاثة أيام وإلى الرقة أربعة أيام وقد أنعم الله عليها بالبركة. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص282–284.

المصرية أخاه الملك العادل[1] وخرج طالبا للشام مصطحبا سبعمائة فارس، فدخل دمشق يوم الاثنين سنة (570هـ/ 1174م)، فملكها وقد انفق مالا كثيرا وأحدث فيها التغير وقام بإزالة كل ما كان يشتغل عليه نور الدين من قبائح ومنكرات وضرائب[2]، وكما استولى على مدن مجاورة لها وحاصر حلب عدة مرات وفي أثناء ذلك دهمه بعض الفداوية الاسماعلية وهم شيعة[3].

كان يرأسهم راشد الدين سنان والذي كانت له عدة قلاع وحصون في الشام وكان يحارب الأيوبيين وقد كاد صلاح الدين أن يقتل على أيديهم لولا وجود صفائح الحديد على عنقه مما دعا إلى الهجوم على حصونهم وقلاعهم؛ وقد تزوج صلاح الدين من أرملة نور الدين وهي عصمة الدين خاتون[4]، أثناء فترة مكوثه في دمشق، غير أن أحد قواديه وهو سعد الدين كمشتكين[5]، قام بخطف الملك الصالح والسير به إلى حلب ليحكم باسمه فيها وأثناء ذلك بعث الخليفة العباسي المستضئ كتابا يقلد فيه السلطة لصلاح الدين على مصر والشام باستثناء حلب التي تبقي تحت يد الملك الصالح تكريما لما أنجزه والده من خدمة للإسلام؛ وقد وصف الخليفة صلاح الدين بأنه قاهر الشيعة ومهدمها وأنه سند الخلافة كما أكد له على لقبه الناصر الذي حضي به من قبل الخليفة العبيدي العاضد وهو لقب يؤكد

---

[1]– الملك العادل: هو سيف الدين أبو بكر محمد بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ولد في ببعلبك وكان في خدمة نور الدين وكان ملكا يتمتع بالفكر السديد والرأي السليم حتى أن أخوه صلاح الدين يستشيره في بعض الأمور وقد سلطن ابنه الكامل على الديار المصرية. انظر الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص 164– 167.

[2]– المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص167، 168 .

[3]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[4]– عصمة الدين خاتون: بنت الأمير معين الدين أنر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين وقفت مدرسة بدمشق للحنفية وقد توفيت بدمشق ودفنت بتربتها وكان ذلك سنة والتي هي اتجاه جركس بالجبل (581هـ/1185م). انظر: الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، حققه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوي زغلول، ج3، ص 83.

[5]– سعد الدين كمشتكين: وهو احد أتباع عماد الدين زنكي وقد كان عينه ابنه نور الدين محمود متوليا لقلعة الموصل بعد دخوله اليها سنة (566هـ/ 1170م)، ثم انقلب على الزنكيين بعد موت نور الدين سنة(569هـ/ 1173م)، وقد تمكن منه وقتله الملك الصالح بن نور الدين سنة (573هـ / 1177م). انظر: ابن الاثير: **المصدر السابق**، ج 10، ص 154– 178.

على تقليد شرعي لسلطة وسيادة صلاح الدين على مصر والشام[1] بعد غضب الملك الصالح على وصية كمشتكين قبض عليه، وقد كان متولي لأمر دولته والمسير لشؤونها وقد كان سعدين قد قتل وزيره لاستبداده ولضغط الجماعة عليه باعتبار أن كمشتكين أصبح يسيطر عليه فقرر سلبه الأرض التي أعطاها إياه وتحصن أهلها داخل أسوارها وامتنعوا لذلك فقام بتعذيبه على أعين أصحابه حتى مات من العذاب سنة(573هـ/1177م) وقاموا بتسليم القلعة خوفا من الملك الناصر صلاح الدين في مصر[2].

وجاءت الأقدار مواتية لصلاح الدين فبوفاة الملك الصالح إسماعيل (577هـ/1181م) وقد كان أوصى بتولية حلب لعز الدين مسعود وهو من البيت الزنكي الذي كان يحكم بلاد الجزيرة، إلا أن هذا الأخير تنازل عنها لأخيه سيف الدين عماد الدين وكان هذا الأخير على علاقة طيبة مع صلاح الدين بحيث لما اتجه صلاح الدين لحصارها سنة (597هـ/1193م) سلمها إياه، وبأخذ حلب تحقق مكان يصبوا إليه صلاح الدين حيث استقر له الحكم والسلطة وقد قال في ذلك:"قد تبين أنني أملك البلاد وعلمت أن ملكي قد استقر وثبت" وبذلك يكون صلاح الدين قد حقق هدفا ببسط سلطانه على جميع بقاع الشام"[3].

أهم المحطات التاريخية في الدولة الأيوبية :

لقد قامت الدولة الأيوبية بإنجازات تاريخية لعل أهمها موقع الانتصار في موقعة حطين[4]، واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين وذلك بعد أن قام بتوطيد سيطرته على مصر والشام و تكوين جبهة إسلامية قوية في المنطقة العربية وقد أشرنا إليه سابقا.

موقعة حطين (573هـ/1187م):

إن صلاح الدين منذ أن توفي نور الدين وهو يهاجم حصون الفرنجة المتفرقة في الشام حصنا تلو الآخر وكان يعتمد الهجوم الخاطف والقيام بحرب العصابات وقد جمع لذلك

---

[1]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 89، 90.

[2]– ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج10، ص87.

[3]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 90.

[4]– حطين: قرية تقع بين أرسوف وقيسارية وبها قبر شعيب عليه السلام وحطين أيضا بين أرسوف ما وتنس من أرض مصر وهي الموقع الذي ألحق به صلاح الدين هزيمة صاحقة بالإفرنج سنة 583هـ/1187م. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص 273 ، 274.

جنودا كثيرة خاصة من المصريين[1]، بحيث كانت مصر قاعدته ووعاءه الأول في الإمدادات العسكرية حيث أنه عندما يصل العسكر المصري كان يوزعه على المعارك[2].

وقد تعددت اتجاهات صلاح الدين في حربه للصلبيين وابتدأها بمهاجمة حصن الكرك الذي كان في عهدة الصلبيين تحت حاكم اسمه رينودي شاتيون وبهذا أراد ملك القدس توقيف صلاح الدين عند حده بعد الغارات المتعددة التي قام بها على حصونهم حيث بعد الواقعة التي وقعت في جبل حطين بين جيوش المسلمين وجيوش الصلبيين في مكان صخري استدرجهم إليه صلاح الدين مما سمح هذا الموقع بكشف الجيش الإفرنجي وقد قتل المسلمون مع صيحة "الله أكبر" فانتصروا وقبضوا على الملك الفرنجي جي ملك فلسطين وأسقطوها أسرع الفرنجة الذين اجتمعوا على نصرة و تخليص ملكهم فسارعوا بالتسليم ولعل دليل هذا الانتصار وأهميته كان واضحا من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا أحدا ومن يري الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحدا.[3]

تخليص واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبين :

لقد كانت موقعة حطين مقدمة لانتصارات حربية هائلة على الفرنجة بسبب فقدهم معظم فرسانهم إما قتلى أو أسرى فقويت همة صلاح الدين لاسترجاع بيت المقدس خصوصا وأنه رآها ترتبط بالإسلام وما قيل عنها من أن النبي إبراهيم عليه السلام أقام بالقدس (المسجد الأقصى) مثلما أقام بمكة (المسجد الحرام)[4]، ولكي تتحقق هذه المعجزة باسترداد القدس جعل صلاح الدين مصر قاعدة للنضال ضد الصليبين وجعل أهلها وهم أكثر شعوب العرب عدادا ركيزة ودعامة لجيشه في مقاتلتهم[5]، وقد اختار صلاح الدين العساكر المصرية دون العساكر الأخرى لاسترداد بيت المقدس وقد قسمه إلى عساكر عدد كل فرقة عسكرية 500 رجالة وألف فارس[6]، ومع العلم أنه في موقعة حطين كان قد أسر ملك بيت

---

(1)– عبد المنعم ماجد، **المرجع السابق**، ص94.

(2) – عماد الدين الأصفهاني: **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ط1، دار المنار، السعودية، 2004، ص42.

(3)– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص 95، 96.

(4) – **المرجع نفسه**، ص 97.

(5)– ابن واصل: **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، حققه: جمال الدين الشيال ومحمد حسن ربيع وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الآميرية، القاهرة، 1957، ج2، ص210، 211.

(6)– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص100.

المقدس وعدد كبير من الفرنجة إلا أن البطرك قد هرب إلى بيت المقدس وعلى شأنه[1]، وكان حينها من الفرنج ستون ألف مقاتل ولما جاء صلاح الدين بعسكره المصري أخذ التفكير في كيفية أخذها واستلامها واستمر طوافه بأسوارها خمسة أيام ليعلم كيف يحصنها ويمنعها فقام بنصب المنجنيقات الكثيرة عليها من ناحية الشمال وتحت ستار رميها الشديد تمكن جند المصريين من الوصول إلى الخندق وثقب السور ودخول بيت المقدس عندئذ طلب البطرك الأمان له ولفرنجة القدس فرفض صلاح الدين لرغبته[2].

وبعد رفض صلاح الدين لطلب الملك رد الملك قائلا اعلم أننا إن لم نجد الأمان لديك فسوف نقوم بقتل نسائنا وأطفالنا وحرق أموالنا وممتلكاتنا ولن تغنموا بدينار ولا درهم ولا تأسروا منا رجلا ولا امرأة [3]، قبل له الأمان وقد اشترط صلاح الدين على الفرنجة أن يرحلوا من البلدة في خلال أربعين يوما تاركين خيولهم وأسلحتهم ومقابل دفع كل رجل جزية قدرها عشرة دنانير وكل امرأة خمسة دنانير وكل صغير دينارين، وبعد فتحها أظهر صلاح الدين تسامحا نادرا نحو أسرى المسيح فأطلق بعضهم دون فدية وتنازل عن نصيبه من الغنائم لفقراء المسيحيين، وقد جرى تسليم القدس في ليلة الإسراء يوم الجمعة (583هـ/1187م) بعد أن بقي في أيدي الصليبين سنة(91هـ/710م)، حيث عرف فتحها بالفتح الأكبر وبتسليمها أعاد صلاح الدين للمساجد طابعها الإسلامي بعد أن حولها الصليبيون إلى كنائس وبذلك عادت بيت المقدس للمسلمين[4].

وبهذا نجد أن صلاح الدين الأيوبي شخصية بارزة عرفتها الدولة الأيوبية، وذلك من خلال ما قام به من أعمال، كان أولها قيام دولته والتي عرفت اتساعا كبيرا حيث كانت بدايتها من مصر حتى وصلت إلى أطراف الشام وبلاد الجزيرة العربية، إضافة إلى أهم عمل تاريخي وهو تخليص بيت المقدس.

---

[1]– عماد الدين الأصفهاني: **المصدر السابق**، ص 49، 50.

[2]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص107.

[3]– حمدي عبد المنعم محمد حسين: في **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص75.

[4]– عبد المنعم ماجد: **المرجع السابق**، ص107، 108، 109.

الفصل الثاني

تعد المرأة في العهد الأيوبي ركيزة ودعامة أساسية فهي من أهم ركائز الحركة السياسية وحتى العلمية في الدولة الأيوبية في مصر والشام، فقد قامت بمجهودات غنية عن التعريف والوصف سواء من حيث جهادها ونضالها ضد الصليبيين،أومن حيث صيانة الدولة وحمايتها بتولي السلطنة وترتيب أمور الدولة، كما اهتمت بالعلوم والعلماء من خلال الاعتناء والرعاية وبناء مراكز أساسية لحفظ هذه العلوم مثل ما قامت به الملكة شجر الدر في مصر، والملكة ضيفة خاتون في حلب.

مما يستوجب علينا الخوض في دراسة هاتين الملكتين، من حيث معرفة شخصيتهما ووصولهما إلى الحكم وتولي السلطنة وأهم أعمالهما السياسية والعلمية في مصر والشام، وهذا يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي: من هي شجر الدر؟ وكيف وصلت إلى الحكم ؟ وفيما تمثل دورها السياسي؟ ومن هي ضيفة خاتون؟ وكيف آل إليها الحكم في حلب؟ وفيما تمثل دورها السياسي؟

أولا : في مصر: اشتهرت في مصر عدة نسوة أمهرهن:

1/ شجرة الدر :

أ/ التعريف بها.

كانت تركية الجنس اشترها الملك الصالح نجم الدين أيوب وحضيت عنده بمكانة رفيعة بحيث كانت ترافقه أينما يذهب وأنجبت منه ابنا اسمه خليل ومات وهو صغير، وهذه المرأة شجرة الدر هي أول من ملك مصر بعد مقتل المعظم غياث الدين تورانشاه[1]، ابن الصالح نجم الدين أيوب، وقد اجتمع أمراء الممالك البحرية، وأعيان الدولة وأهل المشورة ونصبوها للملك[2].

---

[1]– تورا نشاه: هو بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير، الملك المعظم غياث الدين ولي سلطنة الديار المصرية بعد أبيه في حدود الخمسين وستمائة لكن بدت منه أمور نفرت الناس عنه: منها أنه كان فيه خفة وطيش، وكان والده الصالح يقول: ولدي ما يصلح للملك، وألح عليه يوماً الأمير حسام الدين ابن أبو علي، وطلب إحضاره من حصن كيفا، فقال: أجيبه لكم حتى تقتلوه؟ فكان الأمر كما قال أبوه. انظر: محمد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، ص 263.

[2]– المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، حققه: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1997، ج1، ص459.

ولقد كانت من أشهر الملكات في الإسلام، تميزت بالحزم والعقل والدهاء والبر والإحسان، فبعد أن ملكها الصالح صحبته ببلاد الشرق ثم سارت معه إلى جسر الكرك، ثم قدمت معه إلى البلاد المصرية فعظم أمرها في البلاد الصالحية وصار إليها غالب التدبير في أيام زوجها، ثم في مرضه وكانت تكتب خطا يشبه خط الملك الصالح لهذا كانت تتولى التواقيع بنفسها، وعليه يظهر أن شجر الدر كان الملك الصالح يعتمد عليها في أموره ومماته وقد نالت من الحضوة ما لم ينله أحد[1].

وبعد قتل توران شاه اجتمع هؤلاء الأمراء ونصبوا للملك شجرة الدر وتمت الخطابة لها على المنابر[2]، وقد دعا لها الخطباء لها بالحفظ والسلامة ونقش اسمها على الدينار والدرهم، وكانت تعلم وتكتب على المناشير ولم يولى مصر في الإسلام امرأة قبلها[3]، حيث أن أمراء المماليك بعد قتل سلطانهم توران شاه اقترحوا في مجلس المشورة تنصيب الملك لويس التاسع سلطنة مصر.

و لولا علمهم بتعصبه للديانة المسيحية وخوفهم من إجباره لهم على اعتناقها لقاموا بتنفيذ هذا الأمر، ولوجدوا قبولا من الملك نفسه، ومن الواضح أن هذه القصة مختلفة من أساسها ولعلها مستوحاة من الاضطراب الذي حل بالمعسكر الإسلامي وحيرة أمراء الممالك فيمن عساه يكون سلطانا بعد أن قتل توران شاه في سرعة مفاجئة، وكان من الطبيعي أن يطمع كل أمير منهم في سلطنة مصر بحيث ملوك الأيوبيين بالشام، وعلى رأسهم الناصر يوسف الأيوبي المتولي[4]، مملكة حلب بعد وفاة أبيه سنة(634هـ/1236م)، إلى جانب عدم قبول الملوك الأيوبيين استئثار مماليك آبائهم بمصر بعد قتلهم سلطانها الشرعي.

"ومن الطبيعي أن يرى كل منهم في نفسه الشرعية الكافية لأن يولي السلطة بعد توران شاه، وكيفما كان الأمر فيبدو أن المماليك قرروا حل العقدة التي نجمت عن شغور العرش

---

(1)– عمر رضا كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ص286، 287.

(2)– ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، حققه: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص1444.

(3)– السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1968، ج2، ص36.

(4)– الملك الناصر: صلاح الدين والدنيا يوسف ابن الملك العزيز ولد سنة (627هـ/1229م) ملكه خاله السلطان الكامل على حلب سنة (634هـ/1237م)، رعاية لأخته ضيفة خاتون كان حليما وجوادا وكان للشعراء دولة بأيامه توفي سنة (659هـ/ 1261م). انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج23، ص204؛ الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص 293-297.

المصري فجأة بإقامة شجر الدر أم خليل بن الصالح أيوب في السلطنة مبالغة منهم على الحفاظ على الأسرة المالكة الذاهبة، وحرصا على عدم الظهور بمظهر الخارج عليها"، وقد تم عرض الأتابكية على عدد من الأمراء، وقد انحاز الأتابكية إلى جانب شجر الدر[1].

وقد انجلى الموقف بتعيين أيبك التركماني[2] لمنصب الأتابكية[3]، "وهكذا فإن شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب كانت تاسع من تولت السلطنة بمصر من جماعة بني أيوب بعد أن وقع الاتفاق على سلطنتها في ثاني شهر صفر سنة وقبل لها الأمراء من وراء حجاب"[4].

وتمت البيعة للسلطانة الجديدة في سنة (648هـ/1250م)، وحرصت شجرة الدر على إظهار ذلك في علامتها على الأمور والمراسيم[5]، وملكوها عليهم أياما فلم يتم ذلك ثم تملك بعدها المعز وتزوج بها، وكانت تسيطر عليه وكانت تركية ذات شهامة وإقدام وجرأة وآل أمرها إلى أن قتلت وألقيت تحت قلعة مصر مسلوبة ثم دفنت بتربتها[6]

دورها السياسي :

لقد لعبت شجرة الدر دورا سياسيا بارزا في الدولة الأيوبية، بحيث لما حلف الأمراء بتوليتها واستقرت القاعدة ندبت الأمير حسام الدين محمد بن على[7]، للكلام مع الملك ريدا فرنس في تسليم دمياط فجرى بينه وبين الملك مفاوضات ومحاورات ومراجعات آلت إلى أن وقع الاتفاق على تسليمها من الفرنج، وأن يتخلى عنه ليذهب إلى بلاده بعدما يؤدي نصف

---

(1)– أحمد مختار العبادي: **في تاريخ الأيوبيين والممالك**، درا النهضة العربية، بيروت، 1995، ص107، 108.

(2)– لفظ أيبك: يتركب من كلمتين تركيتين هما آي ومعناها القمر وبك ومعناها الأمير فمعنى الاسم الأمير القمر، وأيبك إن في الأصل مملوكا لأولاد التركماني وهم بنو رسول الذين استقلوا باليمن ولهذا عرف بأيبك التركماني ثم انتقل إلى خدمة الملك الصالح أيوب وبنو رسول غسانية أتوا من بلاد التركمان إلى بغداد في خلافة المستنجد (ت566هـ/1170م)، فنسبهم من يعرفهم إلى غسان ونسبهم من لا يعرفهم إلى التركمان. انظر: أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة**، ج7، ص 19.

(3)– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص 108.

(4)– ابن إياس: **المصدر السابق**، ص 73.

(5)– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص 108.

(6)– الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص 276.

(7)– حسام الدين محمد بن على: الحسن بن محمد –الأمير أبي على– بن باشك، الأمير حسام الدين الكردي الهذبانى المعروف بابن أبي على أنشأه بنو أيوب حتى صار من أجل الأمراء توفي سنة ثمان وخمسين وستمائة. أنظر: ابن تغري: **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، حققه: محمد شلتوت، ج1، ص 269، 270.

ما عليه من المال المقرر فبعث الملك ريدا فرنس إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها فأبوا، وعاودهم مرارا إلى أن دخل العالم الإسلامي إليها في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر ورفع على السور، وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق.

فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهرا وتسعة أيام وأفرج عن الملك ريدا فرنس، بعدما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقي من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة ممن أسر في هذه الواقعة خصوصا أيام الصالح، وكانت عدتهم اثنا عشر ألف أسير ومائة أسير وعشر أساري، وساروا إلى البر الغربى ثم ركبوا البحر في يوم السبت تالية[1]، وأقلعوا إلى جهة عكا[2].

فأول عمل اهتمت به شجر الدر، هو تصفية الموقف مع الفرنج وإنهاء المفاوضات التي بدأت معهم على عهد توران شاه لترحيلهم عن البلاد المصرية فلم يلبث المفاوض المصري، وهو الأمير حسام الدين أبو على الهذباني أن اتفق مع لويس التاسع على تسليم دمياط، وإخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى لقاء فدية قدرها ثمانمائة ألف دينار يدفع نصفها قبل رحيله ويدفع النصف الآخر بعد وصوله عكا.

وقامت ملكة فرنسا مرجريت دي بروفانس التي رافقت زوجها في تلك الحملة، وبقيت بدمياط مدة وجود الصليبين بالديار المصرية بجمع المبلغ المطلوب لدفع نصف الفدية، ثم أبحرت إلى عكا ومعها ابنها الذي ولدته في دمياط، حيث أن مدينة دمياط سلمت للمصريين في سنة (648هـ/1250م)، وأن بعض المماليك قاموا بأعمال السلب والنهب في معسكر الفرنج مما حمل لويس التاسع على أن يرسل راهبا اسمه راؤول إلى الأمير أقطاي[3]، يحتج لديه عما ارتكبه المماليك من فضائع قد أجابه أقطاي حين أرسل إليه خطابا يبين فيه عجزه وعدم إرجاع الأمور إلى نصابها وهو في كامل حسرته وأسفه

---

[1]– المقريزي، **المصدر السابق**، ج1، ص 460.

[2]– عكا: هي بلد على ساحل بحر الشام وهي من أحسن بلدان الساحل وعكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيها غابة كثيفة وكانت مستعمرة وقد فتحت على يد عمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان سنة (15هـ/636م)، ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص 143، 144.

[3]– أقطاي: بن عبد الله الجمدار الصالحي النجمي التركي فارس الدين كان في نفسه أخذ السلطنة فعالجه المعز أيبك وقتله في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، أنظر: الصفدي: **الوافي بالوفيات**، أحمد الأرناؤوط و تزكي مصطفى، ج9، ص185، 186.

وهذه العبارة تدل على أن أقطاي لم يكن راضيا عما تطور إليه الموقف من سلطنة شجر الدر وأتابكية أبيك، ثم أنه لم يكن مبالغا فيما قال لأن حزبا من الأمراء وعلى رأسهم حسام الدين أبو العلى الهذباني، رأى في البداية أن من المصلحة للمسلمين أن تبقي بالملك لويس أسيرا، وألا تطلق سراحه نظرا لإطلاعه على عورات المسلمين ولمركزه الديني العظيم في النصرانية، ولأن دمياط قد صارت فعلا في أيدي المسلمين ولكن شجر الدر[1].

وبعض قادة الجيش أقنعوا ذلك الحزب المعارض بضرورة احترام العهد الذي أخذوه على أنفسهم، ثم أبحر لويس وأتباعه إلى عكا في 7 مايو سنة (684هـ/1250م)، وبذالك انتهت الحملة الصليبية التي اقترنت حوادثها بنهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك أخذت شجرة الدر تتقرب إلى الخاصة والعامة[2]، لما تم أمرها في السلطنة فرقت الوظائف السنية على الأمراء.

وفرقت الاقطاعات الثقال على المماليك البحرية، وأغدقت عليهم بالأموال والخيول وأرضتهم بكل ما يمكن وساست الرعية في أيامها أحسن سياسة وكانت الناس عنها راضية.

وكان الأمير عز الدين أبيك التركماني مدبر المملكة، وكان لا يتصرف في الأمور إلا بعد مشورتها فيما تريد[3]، ومع سياسة شجر الدر التي أخذت تتقرب إلى الخاصة والعامة وتعمل على إرضائهم بشتى الوسائل ولاسيما المماليك البحرية[4].

وكانت شجر الدر من ربات البر والإحسان، فأوقفت مدرسة عرفت بمدرسة شجرة الدر، وحما عرف بحمام الست[5]، ولكن على الرغم من ذلك، فإن المصريين عموما رفضوا من تولي امرأة السلطة وقاموا بمظاهرات واضطرابات عديدة، كانت نتائجها خطيرة في القاهرة حتى اضطرت الحكومة إلى غلق أبواب المدينة منعا لتسرب أنباء الاضطرابات إلى بقية

---

(1)– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص110.

(2)– نفسه، ص 110، 111.

(3)– ابن إياس: **المصدر السابق**،ج1، ص 73.

(4)– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص 111.

(5) – عمر رضا كحالة: **المرجع السابق**، ج2، ص 288.

البلاد وإنقاض ما يمكن إنقاضه، ويبدو أن رجال الدين هم الذين كانوا من وراء هذه الحركة المعارضة، لأنهم رفضوا تولية شجرة الدر وإعطائها السلطنة باعتبارها امرأة[1].

فلما وليت تكلم العلامة العز بن عبد السلام[2]، في بعض تصانيفه على ما إذا ابتلى المسلمون بولاية امرأة وأرسل الخليفة المستعصم[3]، يعاتب أهل مصر على تولية امرأة عليهم وقد قال لهم: «إن كان ما بقى عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل إليكم رجلا»[4]، حيث لما بلغ الخليفة المستنصر[6] بالله أبا جعفر وهو ببغداد أن أهل مصر قد سلطنوا عليهم امرأة أرسل يقول لأمراء مصر: أعلمونا إن كان ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل لكم من يصلح لها وأنكر عليهم إنكارا عظيما وهددهم وحضهم على الرجوع عن توليتها مصر[5]، وكتب الأمراء القيمرية[6]، من دمشق إلى الناصر صلاح الدين يوسف أيوب صاحب حلب يخبرونه»[7]، بامتناعهم من الحلف لشجر الدر، ويحثونه على المسير إليهم حتى يملك دمشق فخرج من حلب في عساكره مستهل شهر ربيع الآخر ووصل

---

(1)– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص 111.

(2)– الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي: عبد العزيز بن عبيد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام كما اشتهر بلقب سلطان العلماء، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس قرأ الأصول والعربية ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد،وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة، (ت660هـ/1262م)، انظر: ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، ج7، ص 521، 522– 524.

(3)– المستعصم بالله: هو أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله وكان آخر خلفاء العراقيين ولد سنة (609هـ/ 1212م)، بويع له الخلافة وقد تولها بعد موت أبيه وكان كريما وحليما إلا أنه لم يتمتع بالحزم والعقل كأبيه قتل المستعصم سنة (656هـ/ 1258م). انظر: السيوطي: **المصدر السابق**، ص 467؛ انظر: ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، ج7، ص 467.

(4)– السيوطي، **المصدر السابق**، ص 36.

(6)– المستنصر بالله: هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ولد سنة (588هـ/1192م)، بويع له على الخلافة وتولها بعد موت أبيه سنة (623هـ/1226م)، وقد أقام الخلافة أحسن قيام نشر العدل وكان مهتما بأهل العلم والدين كما تولى أمر الجهاد وأقامه أحسن قيام توفي سنة (640هـ/1242م). أنظر: السيوطي: **المصدر السابق**، ص 361–363.

(5)– ابن إياس : **المصدر السابق**، ج1، ص73.

(6)– القمرية: بفتح القاف وياء ساكنة وضم الميم: هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد ويقال لصاحبها أبوا الفوارس. أنظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص 424.

(7)– المقريزي : **المصدر السابق**، ج1، ص 462، 463.

إلى دمشق يوم السبت ثامنة ونازلها إلى أن كان يوم الاثنين عاشرة زحف عليها ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد.

وكان القائم بذلك من القيمرية الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي، فدخلها الناصر صلاح الدين هو وأصحابه بغير قتال وخلع على الأمراء القيمرية، وعلى الأمير جمال الدين بن يغمور وقبض على عدة من الأمراء المماليك الصالحية وسجنهم[1]، حيث انتهز الملك الناصر هذه الفرصة السانحة وزحف بجيوشه على دمشق، فاستولى عليها وعلى غيرها من المدن الشامية بدون حرب ثم واصل زحفه جنوبا نحو مصر[2]، وخاف المماليك على دولتهم الناشئة من منافسة الأيوبيين فكتبوا إلي الخليفة العباسي المستعصم، يطلبون منه تأييد سلطنة شجر الدر، وكان غرضهم من وراء ذلك تدعيم سلطانهم بحيز من التأييد الشرعي.

غير أن الخليفة عاب عليهم إقامة امرأة في السلطنة، ولما وصل خطاب المستعصم إلى القاهرة اقتنع أمراء المماليك بخطأ تصرفهم وقد أدركوا أنهم لا يمكنهم حفظ البلاد والملك لامرأة ولابد من إقامة رجل للمملكة تجتمع الكلمة[5]، فلما بلغ شجرة الدر ذلك خلعت نفسها من السلطنة برضاها من غير كره لها، فكانت مدة سلطنتها بالديار المصرية نحو ثلاثة أشهر، وكانت تدبر أمور المملكة بالديار المصرية في حياة الملك الصالح، وكانت ذا عقل وحزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة فسلطنوها لحسن تدبيرها للأمور وسياستها للرعية وجعلوا عز الدين، أيبك التركماني أتابك العساكر ومشاركها في أحوال المملكة فكان لا يتصرف في شيء من الأمور إلا برأيها.

فلما خلعت نفسها من السلطنة أشار، القضاة والأمراء بأن يولوا الأمير عز الدين أبيك التركماني السلطنة، وأن يتزوج بشجر الدر فتزوجها، ثم تولى السلطنة بعد خلع شجرة الدر[3]، والواقع أن سلطنة شجر الدر على مصر كانت وليدة للظروف التي أحاطت بمصر في ذلك الوقت، ونتيجة لموافقة جماعة من زملائها المماليك وليست نتيجة لموافقة الشعب أو

---

[1]– المقريزي، **المصدر السابق**، ج1، ص 462، 463.

[2]– أحمد مختار العبادي: **المرجع السابق**، ص 111، 112.

[3]– ابن إياس: **المصدر السابق**، ج1، ص 73.

رجال الدين أو الخلافة العباسية، هذا فضلا عن أنها كانت مسألة لا يقرها الشرع ولاتقبلها التقاليد الإسلامية[1].

ثانيا : في الشام: ومن نساء الشام نجد:

1/ ضيفة خاتون:

أ/ التعريف بها:

ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب[2]، ولدت بقلعة حلب سنة (581هـ/1185م)، وسبب تسميتها بضيفة أنه حين ولادتها كان عند أبيها ضيف فسماها بضيفة[3]، تزوجها الملك الظاهر غازي (634هـ/1236م)[4]، بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب سنة (609هـ/1212م)، وقد أعطاها خمسين ألف دينار وبعد وفاته سنة (613هـ/ 1216م) ملك حلب ابنها الملك العزيز[5] ولما مات سنة (634هـ/1236م)، تسلم ابنه[6]، الملك الناصر يوسف حكم حلب، ولكن بسبب صغر سنه آل الحكم إلى ضيفة خاتون التي أصبحت الملكة على حلب، وسيرت شؤونها ودبرت أمورها وكانت من أصحاب الرأي والكمال[7].

---

(1)– أحمد مختار العبادي: **المرجع سابق**، ص 112.

(2) – الزركلي: **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج3، ص216.

(3) – ابن سبط العجمي: **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، حققه : شوقي شعث وفالح البكور، ط1، دار القلم العربي سوريا، 1996، ج1، ص 328، 323.

(4) – الملك الظاهر غازي: هو الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ولد بمصر سنة (568هـ/1173م) كان ملكا حازما وقد أعطاه والده مملكة حلب في سنة (582هـ/ 1186م)، وقد مات سنة (613هـ/1216م) بقلعة حلب ودفن بها. انظر: الذهبي: **تاريخ الإسلام**، حققه: عبد السلام تدمري، ج44، ص158؛ ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، ج 7، ص 102، 103.

(5) – الملك العزيز: السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد ابن السلطان الملك الظاهر ابن السلطان الكبير صلاح الدين ملكوه حلب بعد أبيه توفي سنة (643هـ/1245م)، وملكوا بعده ابنه الناصر وفيها مات بحلب عمه. انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج 23، ص 202، 203.

(6) – خليل البدوي: **موسوعة شهيرات النساء**، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، 1998، ص 162.

(7) – خليل البدوي: **المرجع السابق**، ص 162.

ولقد تصرفت كما يتصرف السلاطين حيث نهضت بالملك أتم نهوض[1]، وكان عمرها نحو تسع وخمسين سنة وملكت زمام أمور المملكة نحو ست سنين، وكانت عادلة وكثيرة الإحسان نحو الرعية وكانت رحيمة وبحيث تشفق على الفقراء وتهتم بالعلماء والزهاد وأهل الدين، وقد عرفت بالتصدق والإحسان إلى درجة أنه كان كل من يقصد بابها لا يرجع إلا وهو حامل من عطاياها، كما قامت بإزالة المكوس والمظالم في كامل بلاد حلب[2]، كانت وفاتها بقلعة حلب سنة (640هـ/1242م)[3]، وقد غلقت أبواب حلب ثلاثة أيام حزنا عليها وبوفاتها استلم ابنها الملك الناصر الحكم وشهد له بالبلوغ بعد أن قامت برعاية ملك جدته ضيفة خاتون[4].

الدور السياسي:

اشتهر في البيت الأيوبي في الشام عدة نساء كان لهن دور سياسي بارز على الحياة السياسية في بلاد الشام، ولعل من أشهرهن الملكة ضيفة خاتون التي حكمت حلب ودبرت أمور السلطنة لست سنوات فازدهرت حلب في أوجهها السياسية والاقتصادية والفكرية.

ولقد انتقلت ضيفة خاتون من مصر إلى حلب في حفل زفاف بعد أن تمت المصاهرة بين_الملك العادل_والملك الظاهر عليها، وقد وصلت إلى حلب سنة (609هـ/1212م)، وقد حضيت عند زوجها حضوة لم يسمع بمثلها.

وبعد أن توفي الظاهر سنة (613هـ/1216م) آل الحكم إلى إبنه الملك العزيز بعد أن اتفق الأمراء على توليته وبوفاة الملك العزيز(634هـ/1236م) حلف الأمراء لابنه الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ولكن ابنه ما يزال صغير السن فآل الحكم إلى جدته ضيفة خاتون، وذلك بعد أن تولى تدبير دولته الأميران شمس الدين لؤلؤ الأميني[5]، وعز الدين

---

(1) – الذهبي: **المصدر السابق**، ج46، ص 437.

(2) – ابن واصل: **المصدر السابق**، ج5، ص313.

(3) – المرتضي الزبيدي: **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب**، حققه: صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983، ص80.

(4) – الذهبي: **المصدر السابق**، ج 46، ص437.

(5)– شمس الدين لؤلؤ الأميني: هو الأمير الكبير شمس الدين أبو سعيد الأميني الموصلي كافل المماليك الشامية ولد سنة (585هـ/ 1189م)، كان مدبر الدولة الناصرية كان بطلا شجاعا كريما متدينا وكان يتميز بعقل الترك توفي سنة (648هـ/1250م)، أنظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج4، ص 378 – 399، 400.

عمر بن محلى ووزير الدولة القاضي جمال الدين الأكرم وجمال الدولة إقبال الخاتوني يحضر بينهم في المشورة وقد أوصلوا ما اتفقوا عليه إلى الملكة خاتون التي كانت صاحبة الكلمة بحيث تعمل على التوقيع والمكاتبات[1].

كما قامت الملكة ضيفة خاتون مع الأمراء بكشف المؤامرة التي كان سنة (634هـ /1236م) بتحريض من صاحب شيزر[2] شهاب الدين وكمال الدين عمر بن العجمي، حيث قاما هذان الأخيران بإرسال رجل إلى الملك الأشرف[3] يحرضانه على قصد حلب والإستلاء عليها وأوهماه بأن الأمراء في حلب يوافقونه على ذلك، ومقابل ذلك اشترط ابن العجمي عليه توليته قضاء حلب وبعد أن اتجه رسولها إلى الملك الأشرف للاجتماع معه إلا أن الملك الأشرف رفض ذلك وأعتبره خدع وقبح، ولما وصل الخبر إلى الملكة ضيفة خاتون قامت هي والأمراء قامت بإرسال من يوقف الرسول وقد أوقفوه فقبض عليه بباب العراق وأصعد إلى القلعة وتم استجوابه عما فعل وقد أورد لهم ما حدث وقد تم حلق لحيته وأرسل إلى دربساك[4] وحبس فيها، أما عن صاحب شيزر وابن العجمي فقد تم اعتقالها بالقلعة وأخذت كل أموال صاحب شيزر، أما ابن العجمي فأبقي على أمواله تطيبا لأهله وقد دامت مدة اعتقالهما من سنة 634هـ إلى غاية موت الكامل سنة (635هـ/ 1237م) وتم إطلاق صراحهما[5].

---

[1]– ابن العديم: **زبدة حلب من تاريخ حلب**، حققه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 450 وما بعدها.

[2] – شيزر: هي قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة مسيرة يوم يقع في وسطها نهر الأردن وبه قنطرة من جبل لبنان بعد حمص وينسب إلى شيزر جماعة من الأمراء وهم من بني منقذ. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج3، ص 383.

[3]– الملك الأشرف: هو الملك مظفر الدين أبو الفتح موسى بن العادل ولد سنة (576هـ/ 1180م)، وكان مولده بالقاهرة تملك عدة مناطق منها حران وخلاط ثم ملك دمشق لتسع سنين وكان يمتاز بعدة صفات منها الدين والتواضع والعدل والشجاعة توفي سنة (635هـ/1237م). انظر: ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، ج7، ص 298– 306.

[4]– دربساك: وهي عبارة عن قلعة منيعة بها حصن مرتفع يصعب الوصول إليه أو اقتحامه وقد قصده صلاح الدين الأيوبي يوم الجمعة وقاتل فيها قتالا شديدا وارتفعت راية الإسلام فيها وقد سلمها للأمير علم الدين سليمان بن جندر. انظر: محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، حققه: علي الزواري و محمد محفوظ، ج1، ص410؛ عماد الدين الأصفهاني: **المصدر السابق**، ص 112 – 139.

[5]– ابن العديم: **المصدر السابق**، ص 489.

ولعل أنه هذا الدور الذي قامت به الملكة ضيفة خاتون زادها نفوذا ومحبة في حلب، بحيث اجتمع الملك المعظم وأقارب السلطان وعسكر حلب والأمراء وحلفوا للسلطان الناصر وجدته خاتون بالمملكة، وبعدها حلف لها أكابر البلد ومن ثمة العامة،كما قامت الملكة خاتون بدور آخر بارز أثمر في فتح معرة النعمان[1] وذلك من خلال تزويج بنت الملك العزيز أخت الملك الناصر غياث الدين كيخسرو ومقابل ذلك تزويج الملك الناصر بأخت غياث الدين كيخسرو وقد تم هذا الزواج على مذهب الإمام حنيفة بهذا فتحت معرة النعمان وضربت البشائر للأمرين سنة (635هـ/ 1237م)، وفي هذه السنة ظهر الخوارزمية في بلاد الملك الصالح وانقلابوا عليه بعد موت الكامل[2] والده فخاف منهم وهرب والتجأ إلى أخته الملكة ضيفة خاتون التي لم تر فيه أي مضايقة فاتفق معها و أعلمها أن البلاد كلها تحت إمرتها وحكمها وإن رغبت فيها أرسلي رسولا وأنا أسلمه ما ترين أنه يجب تسليمه، وقد شكرته على ذلك وأقطع مقابل ذلك حران[3] والرها للخوارزمية في نفس السنة ،وبعد هذا الحدث وصل رسول كيخسررو عز الدين قاض دوقات إلى حلب طالبا إقام الدعوة للسلطان كيخسرو وضرب السكة باسمه.

وفيها كان الأمراء والعساكر محاصرين حماة فتوقفت الملكة خاتون عن ذلك، وقد أشير عليها بموافقتها على الدعوة فقبلت فخطبت له يوم الجمعة سنة (635هـ/1237م)[4].

ومن ثم واصلت الملكة خاتون محاصرة حماة ولكن ليس بغرض أخذها من ابن أختها ولكن تضييقه ليتراجع عن طلب معرة النعمان وقد ضجر العسكر من ذلك، واستدعت

---

[1]– معرة النعمان : ترجع تسميتها إلى الصحابي النعمان بن بشير الذي اجتازها فمات بها وقد دفن فيها فسميت عليه وهي مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة وقد ألقيت عليها أشعار كثيرة منها شعر سليمان المعري، انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج5، ص 156.

[2]– الملك الكامل: هو سلطان الوقت ناصر الدين أبو المعالي محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ولد سنة (576هـ/1180م) تملك الديار المصرية قراب عشرين سنة مع أبيه كما تملك بعض المناطق كحران وأمد وتملك دمشق قبل موته بشهرين أصيب وهو في قلعة دمشق بمرض حاد حيث أصابه سعال وإسهال توفي سنة (635هـ/1237م)، انظر الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص 221– 223– 224.

[3]– حران : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مصر بينها وبين الرها مسيرة يوم وبين الرقة مسيرة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم وقد فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم وحران من قرى حلب، انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص 235– 236.

[4] – ابن العديم: **المصدر السابق**، ص 493 وما بعدها.

المحروسة إلى حلب فوصل إليها سنة (636هـ/1238م)، كما أنها أظهرت عدلا خالدا حينما اتصل بها ابن أخيها الملك الصالح يخبرها تسلمه دمشق من الملك الجواد[1] ويطلب منها المساعدة والمعاضدة على أخذ مصر من أخيه فلم تجبه على ذلك وقالت له أنكما ابنا أخي ولا أريد التدخل بينك وبين أخيك، ووصل الملك صالح أيوب إلى القاهرة والتقى بابن العديم[2]، وقد كان رسولا إلى الملك العادل لتهنئته بكسر الفرنج في غزة وقد أمره بإيصال رسالة كان محتواها أنه يسلم الأرض بين يدي الستر العالي الملكة ضيفة خاتون وأنه مملوكها وخادمها ومستعد للامتثال لأوامرها ومستعد لتنفيذها، وقد أمره بتبليغ هذه الرسالة للملك الناصر.

ولما نزل ابن العديم مصر التقى بالملك الصالح إسماعيل سنة (638هـ/1240م)، وقد حمله رسالة إلى الملكة خاتون يأمر فيها بمساعدة الملك صالح صاحب مصر، إن قصده فرفضت في ذلك الوقت، وكان الخوارزمية سنة (637هـ/ 1239م) قد وضعوا أيديهم على أوشين من بلد البيرة[3] عليها.

---

[1]– الملك الجواد: هو الملك الجواد مظفر الدين يونس بن ممدود ابن الملك العادل نشأ في خدمة عمه الكامل وكان جوادا من الملوك المبذرين وعدمي الحزم أقطعه الملك الصالح دمشق توفي سنة (641هـ/1244م). انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج23، ص 184، 185.

[2]– ابن العديم: هو العلامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي ولد سنة (588هـ/1192م)، وهو من بيت القضاء وقد اشتغل بالتدريس والفتاوى وسمع عن ابن طبرزد وعن الكندي بدمشق وغيرهم وقد صنف تارخا عن حلب في نحو ثلاثين مجلدا كما ناب في سلطنة دمشق توفي سنة (660هـ/ 1261م). انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص297– 300.

[3]– البيرة: بلد قرب سمياط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة تملكها الملك الناصر يوسف بن أيوب بعد أن أقطعه إياها الملك الظاهر غازي والبيرة تقع بين بيت المقدس ونابلس وقد قام الملك الناصر بتخريبها بعد أن استرددها من الإفرنج. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص 526.

كما استولوا على قلعة حران وقد كان الملك الحافظ أرسلان[1] ابن العادل بقلعة جعبر[2] يعاني من تسلط الخوارزمية وطمعهم الذي لا يزول[3]، ولما خاف من ولده أرسل إلى أخته ضيفة خاتون بحلب يطلب منها أن تقايضه بقلعة جعبر وبالس[4] فاتفق الأمر بأن تعوضه عزاز وقد أرسلت من حلب من يتسلم قلعة جعبر سنة(638هـ/1240م)، وكما وصل الملك الحافظ إلى حلب في نفس السنة واجتمع بأخته الملكة ضيفة خاتون وسلمته نوابة (قلعة عزاز)، إلا أنه ما لبث أن توفي فيها ودفن في الفردوس المكان الذي أنشأته أخته الملكة ضيفة خاتون، وتسلم نوابة بدله الملك الناصر (639هـ/1241م).

وبعده وقعة موقعة الجدل سنة(640هـ/1242م)، حيث خرج الملك المظفر والخوارزمية إلى دنيسر فخرج الملك المنصور إلى الجرجب وسارو إلى جهتهم ووصل الخبر أنهم نزلوا الخابور فساروا إلى جهتهم ونزلوا المجدل وقد انظم جمع من التركمان إلى جانب الخوارزمية.

ولما وصل المظفر[5] والخوارزمية قريبا من المجدل، بلغ ذلك المنصور، فأشار على الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني بالمبادرة والرحيل إليهم، وقد التقى الصفان وولي الملك المظفر منهزما وقد سلم الخوارزمية حيث قتل جماعة منهم ونزل الملك المنصور على خيمة الملك المظفر، واستولى على خزانته، وكل ما يملك من بهائم من غنم وأبقار وأنعام وقد

---

[1]– الملك الحافظ أرسلان: هو الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل صاحب قلعة جعبر تعرض لخطر الخوارزمية وقد خاف منهم فقدم إلى حلب وسلم صاحبها جعبر وقد عوض عنها صاحب حلب بعزاز ومكث فيها إلى أن توفي بها سنة 640هـ/ 1242م ونقل جثمانه فدفن في الفردوس بحلب انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج22، ص 132، 133.

[2]– قلعة جعبر: تقع على الفرات مقابل صفين التي حدثت فيه الوقعة بين معاوية بن أبي سفيان وأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت تسمى بدوسر وبعد أن أصبحت في يد رجل من بني نمير يقال له جعبر فسميت باسمه، انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص 390.

[3]– ابن العديم: **المصدر السابق**، ص، 498، 499، 500، 501.

[4]– مدينة بالس: هي بلدة بالشام بين حلب والرقة وهي في الإقليم الرابع وقد مر عليها الفتح الإسلامي حيث قدم إليها عبيدة بن الجراح الذي بعث إليها مسلمة بن عبد الملك الذي قام بحفر نهر عرف بنهر مسلمة استجابة لأهلها وتطيبا لهم، انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص 328.

[5]– الملك المظفر: هو سيف الدين قطز من أهم مماليك المعز أيبك التركماني كان من أحد الأبطال والشجعان حيث قام بإلحاق هزائم متكررة بالتتار واستعاد منهم الشام ووفد كان من أهم المحافظين على الإسلام ورايته وقد توفي سنة (658هـ/ 1260م). انظر: ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، ج7، ص 502– 507– 508.

وصلت هذيه البهائم والأنعام المسلوبة إلى الموصل وحلب وحماة[1]، وقد بيع رأس الغنم بأثمان بخيسة وقد ضربت البشائر بحلب وزينت لسبعة أيام، وقد توجه الملك المنصور والعساكر إلى حلب ووصلوها سنة (640هـ/1242م)، وقد خرج الملك الناصر إلى قلعة جعبر، ثم اتجه إلى منبج للقائهم وقد اجتمع بهم[2].

وفي تلك السنة طلع مرض على الملكة ضيفة خاتون، فقد أصيبت بقرحة في مراق البطن وازداد ورمها وأصيبت بحمى من جراء ذلك، وبدأ مرض الملكة ضيفة خاتون يقوى عليها شيئا فشيئا إلى أن توفيت في الحادي عشر ليلة الجمعة سنة (640هـ/1242م)، وقد تم دفنها بالحجرة في القلعة اتجاه الصفة حيث دفن ابنها الملك العزيز[3].

وعليه نستنتج مما سبق عن سياسة شجر الدر في مصر أنها كانت ملكة عظيمة، حيث قامت مقام الرجال حينما تعلق الأمر بالهجوم الصليبي على مدينة دمياط، فقامت بردهم و طردهم عن خارج البلاد.

أما عن الملكة ضيفة خاتون فقد كانت من أعظم الملكات في التاريخ حيث حكمت مدينة حلب بكل دهاء وحنكة وجعلت شعبها راض عنها، كما جعلت مدينة حلب من أهم المدن التاريخية من حيث التطور الحاصل فيها من جميع المجالات خصوصا المجال العلمي.

---

[1]– حماة: مدينة كبيرة مليئة بالخيرات تتميز برقعة واسعة فيها أسواق وجامع مميز مشرف على نهر بها معروف بنهر العاصي وكما بها قلعة عظيمة ويقع وعليها سور مبني بالحجارة. انظر: ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص 300.

[2]– ابن العديم: **المصدر السابق**، ص 501– 511– 512– 513.

[3]– ابن العديم: **المصدر السابق**، ص 513.

الفصل الثالث

تركت المرأة الأيوبية أثرا بارزا على الدولة الأيوبية في مصر والشام وذلك راجع لمكانتها في الحاشية الملكية والتي مكنتها من تولي السلطنة وبفعل مشاركتها السياسية حافظت على وجودها في السلطة وعلى مكانتها بين الشعب كما أنه لتوفر المال في يدها جعل لها مشاركة فعالة وحساسة داخل الدولة وخصوص للعامة من خلال الأعمال الخيرية وأيضا من الجانب العلمي من خلال الاهتمام بالعلماء والعلوم وتكوين مدارس خاصة لهم وهذه المدارس التي احتوت أهم العلوم الدينية وتخرج منها أبرز العلماء الدين ولعل أشهر أشهرهن الملكة شجر الدر والملكة ضيفة وهذا ما يدفعنا غلى طرح التساؤل التالي فيما تمثل أثر وجود هاتين المرأتين سياسيا وعلميا؟ وماهي أهم المنجزات التي قماتا بها؟

1/ أثر سياستها على الدولة الأيوبية في مصر:

كان لدور شجر الدر تأثيرات سلبية، وأخرى إيجابية على الدولة الأيوبية في مصر، وذلك بعد أن أقدم كبراء البحرية على قتل المعظم تورا نشاه وهم أيبك وأقطاي وبيبرس[1]، وقاموا بتولية شجرة الدر السلطنة، قامت بعدة أعمال كان لها آثار سلبية وإيجابية.

أ/ الآثار السلبية:

أول الأعمال السلبية التي قامت بها شجرة الدر هو:

تولية أيبك التركماني بأتابكية العسكر، ثم نداء الفرنسيس بالنزول عن دمياط، وقد ملكها المسلمون سنة (648هـ/1250م)، ثم بعثوا به في البحر إلى بلاده بعد أن توثقوا منه الأمان أن لا يتعرض لبلاد المسلمين.

وبعد هذه الأحداث استقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت منها دولة بني أيوب بعد مقتل المعظم وولاية المرأة، ودون أن ننسى فتح الدين عمر بن العادل الذي حبسه عمه الصالح أيوب بالكرك بسبب بدر الصوابي خادمه الذي ولاه على الكرك والشوبك لما ملكها، فأطلق بدر الدين من سجنه وقام بالمبايعة له ولقب بالمغيث، ووصل الخبر إلى مصر

---

[1]– الظاهر بيبرس: هو السلطان الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندر قداري الصالحي النجمي صاحب مصر والشام ولد سنة (620هـ/ 1223م)، وكان شجاعا وفارسا مقداما وكان أمير الدولة المعزية ثم صار من أعيان البحرية وتولى السلطنة سنة (658هـ/1260م)، وكان من الملوك المجاهدين وقد توفي سنة (676هـ/1277م)، ودفن بتربته التي أنشأها ولده. انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص 330، 331.

وعلموا أن الناس قد نقموا عليهم ولاية المرأة فاتفقوا على ولاية زعيمهم أيبك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فقاموا بالمبايعة له وخلعوا شجرة الدر ولقبوه بالمعز.

وقد انفرد بملك مصر، وولى سيف الدين قطز نائبا وملأ المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده[1]، ثم إنه خطب ابنة صاحب الموصل فغارت شجر فقتلته في أواخر ربيع الأول سنة (550هـ/ 1155م)، وأقيم بعده ولده على خمس عشرة سنة فأقام سنتين وثمانية أشهر وفي أيامه أخذ التتار بغداد وقتل الخليفة[2].

وقد تمثل عملها الثاني بقتل زوجها بعد أن بلغها بأنه يريد أن يتزوج بنت الملك الرحيم بدر الدين[3]، لؤلؤ صاحب الموصل وقد عزم على ذلك فتخيلت أنه ربما عزم على إبعادها أو إعدامها، لأنه سئم من حجرها عليه فعزمت على الفتك به وإقامة غيره في الملك، وطلبت شجر الدر صفي الدين إبراهيم بن مرزوق، وكان بمصر فاستشارته ووعدته بالوزارة فأنكر عليها ونهاها عن ذلك فلم تصغي إلى قوله وطلبت مملوكا للطواشي محسن الجوهري الصالحي وعرضت عليه أمرها ووعدته ومنته إن قتل المعز.

ثم استدعت جماعة من الخدام واتفقت معهم، فلما كان يوم الثلاثاء 23 من ربيع الأول لعب المعز بالكرة ومن معه، وصعد إلى القلعة آخر النهار، وآتى الحمام ليغتسل، فلما خلع ثيابه وثب عليه سنجر الجوهري والخدام فرموه وخنقوه[4]، وسمع مواليه الناعية من جوف الليل فجاؤوا مع سيف الدين قطز وسنجار الغتمي وبهادر، فدخلوا القصر وقبضوا على الجوجري فقتلوه وفر سنجار العزيزي إلى الشام وهموا بقتل شجرة الدر، وقام الموالية الصالحية دونها فاعتقلوها ونصبوا للملك علي بن المعز أيبك ولقبوه المنصور .

وكان أتابكة علم الدين سنجار الحلي واشتمل موالي المعز على ابنه المنصور فكسبوا علم الدين سنجار واعتقلوه، وولوا مكانه أقطاي المعزي الصالحي مولى العزيز على الدولة

---

[1]– ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص 1452.

[2]– السيوطي: **المصدر السابق**، ص 38.

[3]– الملك الرحيم بدر الدين : هو بدر الدين لؤلؤ الأرمني من الأتابكة صاحب الموصل كان مدبر دولت أستاذه وقد استقل بالسلطنة وكان حازما شجاعا وقد توفي سنة (657هـ/ 1259م)، وعمره نجو ثمانين سنة. انظر: الذهبي: **المصدر السابق**، ج3، ص285 ،286، 287.

[4]– عمر رضا كحالة: **المرجع السابق**، ج2، ص 289.

في نقضها وإبرامها سنة (650هـ/ 1252م)، وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الغازي لأن المعز كان يستودعه سراياه عنده فاستصفاه وقتله[1].

حيث طلبت شجرة الدر ابن مرزوق على لسان الملك المعز فركب حماره وبادر وطلع القلعة من باب السر فرآها جالسة والمعز بين يديها ميت فأخبرته الأمر فعظم عليه جدا واستشارته فقال: « ما أعرف ما أقول وقد وقعت في أمر عظيم مالك منه مخلص ثم طلبت الأمير جمال الدين بن ايدغدي بن عبد الله العزيزي وعز الدين أيبك الحلبي وعرضت عليهما السلطنة فامتنعا، فلما ارتفع النهار شاع الخبر وأما شجرة الدر فإنها امتنعت بدار السلطنة هي والذين قتلوا المعز أيبك وطلب المماليك المعزية هجوم الدار عليهم فحالت الأمراء الصالحية بينهم وبين حميتها فلما غلبوا مماليك المعز منهم ومنها أمنوها وحلفوا لها أنهم لا يتعرضون لها بسوء.

فلما كان يوم الاثنين 29 منه أخرجت من دار السلطنة إلى البرج الأحمر فحبست به، وعندها بعض جواريها وقبض على الخدام واقتسمت الأمراء جواريها، واستمرت شجرة الدر بالبرج الأحمر بقلعة الجبل والملك المنصور على ابن الملك المعز ايبك ووالدته يحرضان المعزية على قتلها والمماليك الصالحية تمنعهم عنها لكونها جارية أستاذهم.

ب/ الآثار الايجابية:

تمثلت آثارها الايجابية في انه كان لشجرة الدر مآثر وأوقاف على وجوه البر والإحسان معروفة بها، ولما تيقنت شجرة الدر أنها مقتولة أودعت جملة من المال والجواهر، وأعدت أيضا جملة من الجواهر النفيسة وقامت بسحقها في الهاون لئلا يأخذها الملك المنصور بن المعز أيبك وأمه فإنها كانت تكرهها[2]، ثم قتلت في سنة (655هـ/1255م)[3]، ووجدت مقتولة مسلوبة خارج القلعة فحملت إلى التربة التي كانت بنتها لنفسها بقرب مشهد السيدة نفيسة[4].

---

[1]– ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص 1452، 1453.

[2]– عمر كحالة: **المرجع السابق**، ج2، ص 289، 290.

[3]– ابن تغري: **المصدر السابق**، ج1، ص 343.

[4]– عمر رضا كحالة: **المرجع السابق**، ج2، ص290.

2/ أثر سياسة ضيفة خاتون في الشام (حلب) :

لقد كان لدور الملكة ضيفة خاتون تأثيرات إيجابية على الدولة الأيوبية في بلاد الشام، وخصوصا مدينة حلب، باعتبارها الملكة على هذه المدينة، والتي دام حكمها فيها ست سنوات عرفت فيها هذه المدينة تطورات في مختلف المجالات.

أ/ من الناحية السياسية والاجتماعية :

حيث قامت بالسلطنة أحسن قيام وتصرفت تصرف السلاطين حفظت به المملكة، وكانت مدة حكمها نحو ست سنين، ثم تولاها ابنها الناصر وهو في عمر ثلاثة عشرة سنة، كما أنها تركت أثارا حسنة جعلت لها هيبة أواسط شعبها وسبب ذلك أنها كانت تهتم بالفقراء وتعطيهم الصدقات.

وقد وصفت بالمرأة اللطيفة ويرجع هذا الوصف إلى ولادتها الملك العزيز من الملك الظاهر بحيث جعلت حلب مدينة مليئة بالخيرات والناس بسطاء وقد بقيت شهرين مزينة والناس فيها يأكلون ويشربون ولم يبقى أحد إلا وكان له نصيب من النعم التي أغدقها الملك الظاهر وزوجته ضيفة خاتون حتى المدارس والخوانيق أرسل إليهم الغنم والذهب.

كما زينت القلعة بالجواهر والأواني من الذهب، كما أن النساء كان لهن شرف العطاء فأقيمت لهم دعوة خاصة، ونظرا لما قامت به الملكة ضيفة خاتون فإنه بوفاتها تم إغلاق مدينة حلب لمدة ثلاث أيام إكراما لروحها الطيبة .

ب/ من الناحية العلمية:

اهتمت الملكة ضيفة خاتون بالعلماء حيث كانت تقربهم إليها، وتهتم بهم وتغدق عليه بالعطايا والهبات، وقد قامت بإنشاء مدرسة وقد أسمتها بمدرسة الفردوس، وكما قامت بإنشاء تربة ورباطا وقد جلبت إليه مجموعة من القراء والفقهاء، الصوفية[1].

[1]– ابن سبط العجمي: **المصدر السابق**، ج1، ص 328، 323.

وكان شمس الدين أحمد بن الزبير الخابوري[1]، أول الدارسين بها وكانت، تتميز هذه المدرسة ببناء عظيم مرتفع بالحجارة كما أن لديها العديد من المساكن وأماكن خاصة للموتى ويتدفق إليها الماء من خارجها، بحيث توجد بركة ماء ببستانها وكان داخل هذه المدرسة عوامد من الرخام الأصفر ولها محراب غني عن الوصف بحيث كل من ينظر إليه يرى صفاءه وقد أقيمت فيه الجمعة بعد تجديد المحراب، وقد خطب بها قبل فتنة تمر السيد علي الهاشمي، وبهذا قد خلفت ضيفة خاتون الملكة العظيمة في تاريخ حلب أعمالا خالدة في الذكرى، ومدرسة ما يزال أثرها العلمي البارز إلى يومنا هذا[2].

مما سبق يتضح لنا من سياسة شجر الدر وأثارها أنه رغم الايجابيات التي قامت بها، إلا أن سلبياتها كانت واضحة خصوصا مشاركتها في قتل المعظم توران شاه، وبذلك وضعت الحاد الفاصل للدولة الأيوبية، حيث أزالتها من الوجود كما فتحت مشوار البداية لقيام دولة المماليك.

أما بالنسبة للملكة ضيفة خاتون في الشام كانت لها أثار إيجابية جلية، جعلتها من أعظم الملكات الأيوبيات في التاريخ الإسلامي، من خلال ما تركت في حلب باعتبارها الملكة الرسمية لها، حيث جعلتها مركزا إشعاعيا علميا بارزا من خلال إنشائها مدرسة الفردوس التي كانت جامعة من جامعت عصرها.

---

[1]– شمس الدين أحمد بن الزبير الخابوري: هو الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزبير الحلبي، خطيب حلب ومقرئها ونحويها صاحب النوادر والظرف تعلم على يد أساتذة كبار وسمع منهم بحران، سمع من فخر الدين ابن تيمية وبحلب من ابن الأستاذ وببغداد من ابن الداهري وغيرهم، كما أنه قرأ القراءات على يد السخاوي، وقد توفي سنة (690هـ/ 1291م). انظر: ابن عماد الحنبلي: **المصدر السابق**، مج7، ص 718.

[2]– ابن سبط العجمي: **المصدر السابق**، ج1، ص 322، 323.

الخاتمة

نتائج الدراسة:

- ✓ أن الدولة الأيوبية وليدة أحداث وظروف قاهرة تعرضت لها الدولة العربية الإسلامية.
- ✓ وضوح العلاقة الجلية التي جمعت الزنكيين بالأمراء الأيوبيين وشجاعتهم التي مكنتهم من نيل وتولي أرقى المناصب السياسية وخصوصا الحديث عن صلاح الدين الأيوبي الذي يعد شخصية بارزة ومحنكة أبرز أبناء الأسرة الأيوبية الذي تولى عدة مناصب
- ✓ نجاح صلاح الدين في إقامة دولته والتي وسع أطرافها وحدودها ساعيا إلى توحيد الشعوب الإسلامية من أجل إقامة جبهة إسلامية قوية وقد نجح في بسط نفوذه على كامل الشام.
- ✓ عزم صلاح الدين على مواصلة الجهاد ضد الصليبين وقد ألحق بهم عدة هزائم وخسائر مادية وبشرية وفتح عدة مناطق كانت تحت سيطرتهم.
- ✓ أما الجانب الآخر من الدولة الأيوبية والذي يمكننا استنتاجه هو دور الأميرات الأيوبيات البارز من خلال جهادهن ضد الصليبين مثلما حدث مع الملكة شجر الدر في مصر والملكة ضيفة خاتون في الشام.
- ✓ استطاعت شجر الدر تخليص مدينة دمياط من الوجود الصليبي وإخراجهم منها.
- ✓ دبرت أمور مملكتها أحسن تدبير من خلال ما قامت به من أعمال وأدوار سياسية بارزة ولها أثر بالغ على الدولة الأيوبية في مصر.
- ✓ استطاعت ضيفة خاتون تولي السلطنة وتدبير أمورها أحسن تدبير من خلال ما قامت به من أعمال سياسية وعلمية كان لها أثر عميق في نفوس الرعية وعلى الدولة الأيوبية في الشام.
- ✓ فتح عدة مناطق كمعرة النعمان التي كانت من ابرز المناطق وأهمها سياسيا وقد حافظت عليها من أيدي الطامعين.
- ✓ أزالت المظالم واهتمت بالرعية والعلماء في مدينة حلب.
- ✓ من أبرز أثارها في حلب هو بناء مدرسة الفردوس العريقة وقد حضيت بمكانة عالية وجليلة في مدينتها حيث أن شعبها كان راض عنها وعن سياستها.

الخاتمة:

وعلى ضوء ما سبق في دراستنا لهذا الموضوع خصوص فيما يتعلق بدور النساء يمكننا أن نقدم حوصلة عن هذا الموضوع حيث اتضح لنا أن قيام الدولة الأيوبية في مصر وتوسعها في الشام وغيرها من المناطق، وهذا الإنجاز إلى صلاح الدين الأيوبي أبرز شخصية في أسرته حيث سخر كل طاقاته وجهوده الذهنية والجسدية لإدارة هذه الدولة بحزم، كما جعلها دولة جهادية، حيث أثمرت هذه الجهود في توجيه درس قاس للقوى الصليبية، ولعلى ما يثبت ذلك انتصاره في موقعة حطين و تخليص بيت المقدس، وعمل تاريخي بقي حاضرا في أذهان المسلمين والصليبين.

وفصل آخر شهدته هذه الدولة وهو موقف نسائها، وأبرزهن الأميرات الأيوبيات بحكم موقعهن وترفهن، وأبرز شخصيتان في هذه الدولة شجر الدر في مصر التي دافعت عن البلاد بطرد القوى الصليبية، والملكة ضيفة خاتون في الشام(حلب)، حيث أثمرت جهودها وحنكتها في إدارة الحكم وتسيير مدينتها بعقلانية، كما فتحت عدة مناطق أهمها: معرة النعمان.

وقد تمثلت أثارهن في عدة وقائع، حيث لو نظرنا إلى أثر شجر الدر لو وجدنا أثرها حمل عهد جديد بزوال الدولة الأيوبية، بعدما تآمرت مع المماليك على قتل توران شاه، وبدأ عهد جديد بعد أن خلعت نفسها وتركت السلطة لزوجها المعز، وهنا بدأ مشوار دولة المماليك.

أما عن ضيفة خاتون في حلب، فقد تمثل أثرها في إنجاز ماهر بارز، لا يزال أثره جليا وهو يدل على حنكة وسياسة هذه المرأة، حيث أنشأت مدرسة عصرية عرفت بمدرسة الفردوس، وجعلت مدينة من أهم المدن التاريخية علميا.

وبهذا نساهم بهذه التوصيات المستقاة من نتائج البحث والتي يمكن أن تحقق المطلب في المستقبل مع الأجيال القادمة بإذن الله سبحانه وتعالى.

- ✓ أنه لا يمكن احتقار أو السخرية من أعمال وأدوار المرأة خصوصا في التخطيط ضمن إطار التسيير الحسن لشؤون البلاد وخدمة الأمة ويجب احترام القرارات الصادرة عنها وجعلها محل اهتمام.

- ✓ يجب السماح للمرأة بالتعليم وفتح الأفاق العلمية أمامها واستثمار طاقتها وجعلها محل اهتمام واستشارتها فيما يخدم البلاد والأمة لما قد تحمله من أفكار ومشاريع ذو أهمية بالغة على الدولة والرعية.
- ✓ إبعادها عن كل ما يتعلق بأمور الإمامة الكبرى لأنها مسألة لا يسمح بها الدين ولا يقبلها الشرع.
- ✓ زيادة دور ومعدل مشاركة المرأة فيما يتعلق بأمور الدولة في شتى الجوانب خصوصا الجانب السياسي.
- ✓ تعزيز البحوث وبناء القدرات في مجال القضايا المتعلقة بالإنصاف بين الرجل والمرأة مع فتح كل أنواع المشاركات العملية وتنمية روح المبادرة للمرأة.

الفهارس الفنية

فهرس الأعلام

(أ)

الأشرف: 32.

إبراهيم عليه السلام: 17، 20.

ابن الأستاذ: 42.

ابن الدهاري: 42.

ابن طبرزد: 34.

أبو الفوارس: 29.

آردشير: 10.

أسد الدين شيركوه: 10، 12، 14.

إقبال الخاتوني: 32.

أقطاي: 27، 38

أيبك التركماني: 25، 27، 28، 30، 38، 39، 40، 45.

أيوب شادي: 7، 16.

(ب)

بدر الدين لؤلؤ: 39.

بدر الصوابي: 38.

البرنس: 12.

البطرك: 21.

بكر: 13.

بهادر: 39.

(ت)

تقي الدين عمر: 16.

تمر السيد علي الهاشمي: 42.

(ج)

جعبر: 35.
جمال الدين الأكرم: 32.
جمال الدين بن يغمور: 29.
جمال الدين بن أيدغدي: 40.
الجواد: 34.
الجوجري: 39.
جي: 20

(ح)

الحافظ أرسلان: 35.
حسام الدين محمد بن علي: 23، 26، 27.
حنيفة: 33.

(خ)

خليل: 23، 25.

(ر)

راشد الدين سنان: 18.
رؤول: 27.
ريدا فرونس: 26، 38.
رينودي شاتيون: 20.

(س)

السخاوي: 42.
سعد الدين كمشتكين: 18، 19.
سليمان المعري: 33.
سنجار العزيزي: 39.
سنجار الغتمي: 39.

سيف الدين عماد الدين: 19.
سيف الدين غازي: 17.
سيف الدين قطز: 39.

(ش)

شجر الدر: 8، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 36، 38، 39، 40، 42، 44، 45.
شرف الدين الغازي: 40.
شعيب عليه السلام: 19.
شمس الدين أحمد بن الزبير الخابوري: 42.
شمس الدين لؤلؤ الأمني: 32، 36.
شهاب الدين: 32.

(ص)

الصالح إسماعيل بن نور الدين: 17، 18، 19، 34.
الصالح إسماعيل:33، 34، 35، 39.
الصالح نجم الدين أيوب: 23، 24، 25، 26، 29، 38.
صفي الدين إبراهيم بن مرزوق: 39، 40.
صلاح الدين الأيوبي: 7، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 24، 33، 35.
صلاح الدين يوسف: 24، 25، 29، 31، 33، 35، 36، 41.

(ض)

ضيفة خاتون: 8، 23، 25، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 41، 42، 44، 45.

(ظ)

الظاهر: 30، 32، 35، 40.
الظاهر بيبرس: 38.

(ع)

العادل: 18، 32، 34، 39.
العاضد: 12، 14، 15، 16، 18.
عبد اللطيف البغدادي: 12، 13.
عبيدة بن الجراح: 35.
العز بن عبد السلام: 28.
عز الدين أيبك الحلبي: 40.
عز الدين عمر أبو محلى: 32.
عز الدين مسعود: 19.
عز الدين: 34.
العزيز: 31، 32، 33، 41.
عصمة الدين خاتون: 18.
علم الدين سنجار الحلي: 39.
علم الدين سليمان: 33.
عمر بن الخطاب: 34.
عمر بن العاص: 26.
علي بن أبي طالب: 35.
عماد الدين زنكي: 7، 18.
عموري: 15.
عياض غنم: 34.

(ع)

غسان: 25.
غياث الدين توران شاه: 23، 24، 26، 38، 42، 45.
غياث كيخسرو: 33، 34.

(غ)

فتح الدين عمر: 38.
فخر الدين ابن تيمية: 42.

(ك)

الكامل: 18، 25، 26، 33، 34.
كمال الدين ابن العديم: 34، 35.
كمال الدين عمر بن العجمي: 32، 33.
الكندي: 34.

(ل)

لويس التاسع: 24، 26، 27.

(م)

مجد الدين: 18.
محسن الجوهري الصالحي: 39.
المتنبي: 12.
المحروسة: 34.
مرجريت دي بروفانس: 27.
المستعصم: 28، 29.
المستضئ: 16، 18.
المستنصر: 18.
المستنجد: 25.
مسلمة بن عبد الملك: 35.
المظفر: 35، 36.
معاوية بن أبي سفيان: 26، 35.
المعظم: 33.
المنصور: 35، 36.
المنصور علي بن المعز: 39، 40.

(ن)

ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري: 29.

النعمان: 33.

نفيسة: 40.

نوح عليه السلام: 16.

نور الدين زنكي: 11، 12، 15، 16، 17، 18، 19.

فهرس الأماكن

(أ)

أذربيجان: 10.

أرسوف: 19.

الإسكندرية: 13.

أنطاكية: 12، 17.

ألرها: 17، 34.

أوشين: 35.

أيلة: 16.

(ب)

بالس: 35.

بحر الروم: 13، 34.

بحر القلزم: 16.

البرج الأحمر: 40.

البر الغربي: 26.

بعلبك: 16، 18.

بغداد: 13، 16، 25، 28، 42.

بلاد الشرق: 24.

البيرة: 35.

(ت)

التركمان: 25.
تكريت: 10.
تنيس: 13، 19.

(ج)

الجدل: 35.
الجرجب: 35.
جزيرة أقور: 34
جزيرة الروضة: 24.
الجزيرة العربية: 10، 17، 19، 21.
جعبر: 35، 36.

(ح)

حران: 32، 34، 35، 42.
حصن الكرك: 16، 20، 24، 38.
حطين: 8، 19، 20، 45.
حلب: 8، 11، 12، 18، 19، 23، 25، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 41، 42، 44، 45.
حماة: 16، 17، 32، 33، 34، 36.
حمص: 32، 33.

(خ)

الخابور: 35.
خلاط: 29، 32.

(د)

الدالتا: 15.
دجلة: 10، 13.

دربساك: 33.
دمياط: 13، 15، 26، 27، 36، 38، 44.
دمشق: 11، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 29، 32، 34.
دنسير: 35.
دوقات: 34.

(ر)

الرقة: 17، 34، 35.

(س)

سمياط: 35.

(ش)

الشام: 8، 10، 11، 12، 14، 16، 17، 18، 19، 21، 23، 26، 29، 30، 31، 32، 34، 36، 38، 39، 41، 42، 44، 45.
الشوبك: 38.
شيرز: 32، 33.

(ص)

الصالحية: 24.
الصفة: 36.
صفين: 35.

(ع)

العراق: 32.
عزاز: 35.
العقبة: 13، 34.
عكا: 26، 27.
العمق: 12.

(غ)

غزة: 13، 34.

(ف)

الفرات: 35.

الفردوس: 35، 41، 42، 44، 45.

فلسطين: 20.

(ق)

القاهرة: 26، 27، 29، 32، 34.

القمرية: 29.

القدس:8، 10، 14، 16، 19، 20، 21، 45.

قنسارية: 19.

قنسرين: 17.

(ك)

الكرج: 10.

كيفا: 23.

(ل)

لبنان: 32.

(م)

المجدل: 35، 36.

المد: 10.

مصر: 7، 8، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 34، 35، 36، 38، 39، 45.

معرة النعمان: 17، 33، 34، 44، 45.

مكة: 13، 20.

منبج: 36.

الموصل: 10، 11، 18، 29، 34، 39.

(ن)

نابلس: 35.
نهر الأردن: 32.
نهر العاصي: 36.
نهر عيسى: 13.
نوابة: 35.

(ي)

اليمن: 25.

المصادر:

1/ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى،ط1، دار الفكر، دمشق، 1987م.

أحمد بن محمد بن أبو بكر أبو العباس شمس الدين بن خلكان(681هـ/1283م)، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت.

2/ إسماعيل ابن عمر عماد الدين أبو الفداء بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ/1372م)، البداية والنهاية، حققه: الدكتور عبد الله بن محسن التركي، ط1، دار هجرة للنشر و التوزيع، 1998م.

3/ بهاء الدين بن شداد (632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين،حققه: جمال الدين الشيال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1415هـ/ 1994م.

4/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ين عبد القادر العبيد المقريزي (845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1991م.

5/ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى(874هـ/1470م)، الدليل الصافي على المنهل الشافي، حققه: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى- مكتبة الخانجي، السعودية.

6/ خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي (674هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، حققه: أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م.

7/ سبط ابن العجمي الحلبي(884هـ/1480م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، حققه: شوقي شعث وفاتح البكور، ط1، دار القلم العربي، سوريا، 1419هـ/1996م.

8/ شهاب الدين أحمد بن يحيى القاضي ابن الفضل الله العمري(749هـ/1348م) ،التعريف بالمصطلح الشريف،حققه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1408هـ/1988م.

9/ عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن عماد شهاب الدين أبو الفلاح العكري الحنبلي الدمشقي(1089هـ/1678م)، شذرات الذهب، حققه: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، (1412هـ/1991م).

10/ عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين المقديسي الدمشقي أبو شامة(665هـ/1267م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م.

11/ عبد الرحمان جلال الدين السيوطي(911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1424هـ/2003م.

12/ ـــــــــــ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1388هـ/1968م.

13/ عبد الرحمان محمد أبو زيد ولي الدين الإشبيلي التونسي القاهري المالكي ابن خلدون(808هـ/1406م)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، حققه: أبو صهيب عبد الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

14/ عبد الله أبو بكر الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، حققه: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1380هـ/1961م.

15/ عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان أبو محمد اليافعي اليمني المكي(768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، حققه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

16/ عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الحسن بن أبو محمّد الهاشمي العباسي الصفدي(717هـ/1371م)، نزهة المالك والملوك في مختصر سيرة من ولى مصر من الملوك، حققه: عمر بن عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ/2003م.

17/ علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد أبو الحسن الشيباني بن الأثير الجزري عز الدين(630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، حققه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

18/ ـــــــــــ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكة، حققه: عبد القادر أحمد طليمات، ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1382هـ/1963م.

19/ عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين أبو القاسم ابن العديم الحنفي الحلبي(660هـ/1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1952م.

20/ ـــــــــ، زبدة حلب من تاريخ حلب، حققه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

21/ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري(930 هـ / 1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، 1960م.

22/ محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي(748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، حققه: شعيب الأرنؤوط و ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1985م.

23/ ـــــــــ، الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام، حققه: إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت، 1991م.

24/ ـــــــــ، العبر في خبر من غبر، حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/1985م.

25/ ـــــــــ، تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام والمشاهير، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1996م.

26/ محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل(697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه: جمال الدين شيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1377هـ/1957م.

27/ محمد بن محمد بن حامد عماد الدين أبي عبد الله الأصفهاني(597هـ/1201م)، الفتح القدسي في الفتح القدسي، دار المنار، السعودية، 1425هـ/2004م.

28/ محمود مقديش(1228هـ/1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، حققه: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م.

29/ المرتضي الزبيدي(1305هـ/1888م)، ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، حققه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1403هـ/1983م.

30/ ياقوت بن عبد الله شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي(626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

المراجع:

1/ أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والممالك، درا النهضة العربية، بيروت، 1416 هـ /1995م.

2/ حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1421هـ/2000م

3/ خليل البدوي، موسوعة شهيرات النساء، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن _ عمان ،1419هـ/ 1998م.

4/ خير الدين الزركلي(1310 هـ / 1893م- 1396 هـ /1976م) ، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت،1423هـ/2002م

5/ عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي، ط12، دار السلام، مصر، 1423هـ/2002م

6/ عبد المنعم ماجد ،صلاح الدين الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1407هـ/1987م.

7/ الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التاريخ السياسي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م

8/ على محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1429هـ/2008م.

9/ عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

10/ محمد فريد أبو حديد، صلاح الدين الأيوبي وعصره، دار الكتب المصرية، القاهرة, 1346هـ/1927م.

11/ يحيى الجبوري، النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ط1، دار مجد لاوي عمان-الأردن ،1431هـ_1432هـ/2010م_2011م.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ
تمهيد	7
الفصل الأول: ظهور صلاح الدين الأيوبي و قيام الدولة الأيوبية	10
أولاً: ترجمة شخصية صلاح الدين الأيوبي	10
1/ تعريفه ومولده ونشأته	10
2/ تعلمه و أخلاقه و سيرته	11
3/ وفاته	13
ثانيا: قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام	14
1/ قيام الدولة الأيوبية في مصر	14
أ/ مكانة صلاح الدين في البلاط العبيدي وحصوله على الوزارة	14
ب/ دور صلاح الدين في إفشال الحملة الصليبية على دمياط	14
ج/ سقوط الخلافة العبيدية علي يد صلاح الدين الأيوبي وقيام دولته	15
2/ قيام الدولة الأيوبية في الشام	17
أهم المجطات التاريخية في الدولة الأيوبية	19
1/ موقعة حطين	19
2/ تخليص واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبين	20
الفصل الثاني: المرأة والحياة السياسية في مصر والشام عهد الدولة الأيوبية	23
أولا : المرأة والحياة السياسية في مصر	23
1/ شجرة الدر	23
أ/ التعريف بها	23
ب/ دورها السياسي	26

الموضوع	رقم الصفحة
ثانيا: المرأة والحياة السياسية في الشام	30
2/ضيفة خاتون	30
أ/ التعريف بها	30
ب/دورها السياسي	31
الفصل الثالث : أثر سياسة المرأة على الدولة الأيوبية في مصر والشام	38
1/أثر سياسة شجر الدر في مصر	38
أ/الأثار السلبية	38
ب/الأثار الايجابية	40
2/أثر سياسة ضيفة خاتون في الشام (حلب)	41
أ/الأثار من الناحية السياسية والاجتماعية	41
ب/الأثار من الناحية العلمية	41
خاتمة	44
الفهارس الفنية	47
فهرس الأعلام	48
فهرس الأماكن	52
فهرس المصادر والمراجع	56
فهرس الموضوعات	60

تم بحمد الله